التلمذة الحقيقية

ولبام ماكدونالد

الطبعة العربية السادسة

مزيدة ومنقحة

٢٠٠٩

التلمذة الحقيقية

True Discipleship

William MacDonald

المؤلف : وليم ماكدونالد

الناشر : دار الإخوة للنشر

يُطلب من : **مكتبة الإخوة** ٣ش أنجه هانم – شبرا – مصر ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤

بريد الكتروني: BrethrenPub@gmail.com

وفروعها: مصرالجديدة: ٦٥ش نخلة المطيعي – تريومف ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣

الإسكندرية : ٦ش الفسطاط – كليوباترا ت: ٥٤٦٥٣٦٦

المنيا : ٦ش الجيش ت:٣٦٤٤٠٦

أسيوط : ٢١ش عبدالخالق ثروت ت: ٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

طبع بمطبعة الإخوة بجزيرة بدران

Printed in Egypt

معلومات الفهرسة

ماكدونلد ، وليم.

التلمذة الحقيقية / وليم ماكونلد . – ط ٦

. – القاهرة : دار الإخوة للنشر ، ٢٠٠٩.

١٧٦ ص؛ ٢٠ سم.

تدمك : ٧ – ١٨٢ – ٣٢١ – ٩٧٧

١– المسيح

أ – العنوان.

٢٧٣,٢

رقم الإيداع: ٢٢٨٧٥ / ٢٠٠٨ **الترقيم الدولي** : *ISBN 977-321-182-7*

©

جميع الحقوق، بالعربية، محفوظة للناشر لهذه النسخة الجديدة. لا يجوز نسخ هذا الكتاب أو أي جزء منه بأية طريقة كانت، الكترونية أو مطبعية أو رقمية، بدون إذن خطي مسبق من الناشر لهذه الطبعة للكتاب.

المحتويات

نبذة عن الكاتب ٧

تقديم ١١

المقدمة ١٣

١. شروط التلمذة ١٥

٢. ترك كل شيء ٢٣

٣. عقبات في سبيل التلمذة ٣٣

٤. التلاميذ هم وكلاء ٣٩

٥. الغيرة ٤٧

٦. الإيمان ٥٥

٧. الصلاة ٦٣

٨. الحرب ٧١

٩. السيادة على العالم ٧٩

١٠. التلمذة والزواج ٨٩
١١. حساب النفقة ٩٥
١٢. ظل الاستشهاد ١٠١
١٣. مكافآت التلمذة الحقيقية ١٠٥
١٤. أين كنزك؟ ١٠٧
١٥. الحيازة وليس التملك ١١١
١٦. ما الضرر في ذلك؟ ١١٧
١٧. موضوع الأموال المجمّدة ١٢٧
١٨. ماذا يقول الكتاب؟ ١٣٩
١٩. اكسرني يا ربّ! ١٥١
٢٠. يريدنا الله جميعا أن نكون منكسرين ١٥٣

نبذة عن الكاتب

وليام ماكدونالد

١٩١٧-٢٠٠٧

وُلد وليم ماكدونالد في ٧ يناير ١٩١٧ في ليومينستر ماساشوستس *Leominster, Massachusetts* في أمريكا. بعد ذلك بقليل انتقلت الأسرة إلى جزيرة لويس باسكتلندا *Isle of Lewis, Scotland*. وهناك، حين كان طفلاً في الخامسة أصيب بالدفتريا حتى قارب الموت. وبينما كادت أمه تفقد الأمل، جاء عمه وقال لها: "لا تخافي، سيُشفى الولد، وبعد وقت ستخلص نفسه أيضًا... لقد طمأنني الرب على وليم من خلال الأعداد

الثلاثة الأخيرة من مزمور ٩١: «لأنه تعلَّق بي أنجيه... يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجِّده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي». كتب وليم عن ذلك، بعد سنوات طوال: "لقد أنقذني الرب من الموت في هذه الليلة، ثم خلَّص نفسي بعدها بثلاثة عشرة سنة، وقد أكرمني الرب بعمر مديد".

تربى في بيت تقي، حيث علَّمته أمه أن يحب الكتاب المقدس ويحفظ آيات منه، وبعض ترانيم الإيمان العظيمة.

عندما بلغ الثامنة عشر، وإذ أدرك أن ما كان عليه في ذاته هو أسوأ بكثير من أي شيء صدر منه، أخذ صف الله ضد نفسه، ووثق في مخلِّص الخطاة. قدَّم قلبه للرب، ومن يومها لم يفقد إعجابه بروعة محبة الله، ولا كف عن الحديث عنها.

بعد تخرجه من كلية "تفت" *Tuft's College* وحصوله على درجة الماجستير من هارفارد لإدارة الأعمال *Harvard Business School*، عمل كمحلِّل استثمار لبنك بوسطن الوطني الأول *First National Bank of Boston*. لم يقنع وليم بتجربته في استثمارات العالم. وبدأ الرب يمسّ حياته؛ فأصبح واحدًا من أعظم محللي الاستثمارات في التاريخ – ليس لكنوز الأرض، ولكن للكنز السماوي. كانت لديه رؤية واضحة للأبديات، لا للزمنيات.

مع نشوب الحرب العالمية الثانية قضى ٤ سنوات في البحرية الأمريكية. ذات يوم منها، قرأ كتابًا عن حياة تشارلس ستاد

C.T. Studd، قرأه في جلسة واحدة! ومن خلاله بدأ الرب يلهبه وهو يقرأ شعار حياة ستاد: "إذا كان يسوع المسيح هو الله، وقد مات لأجلي، فبالنسبة لي لا يمكن أن تكون هناك تضحية أكبر من أن تقدَّم لأجله". في غرفته، تلك الليلة، انحنى وليم أمام الرب مكرِّسًا حياته لخدمة السيد. خدم وليم الرب بأمانة لأكثر من ستة عقود، وكان شعاره "حب مذهل للغاية، حب إلهي حقًا، طلب قلبي".

بعد انتهاء خدمته في القوات البحرية، دُعي للعمل كواحد من المدربين في مدرسة للكتاب المقدس. وفي لقاء مع طالب شاب من معهد مودي، اسمه جورج فرور، أثر به وغيَّر مجرى حياته. شركته مع مجموعة من الطلاب الغيورين للرب، والذين تخلوا عن كل شيء في سبيل اتّباع يسوع، أثَّر فيه ليعيش مثلهم، وليكتب عنهم كتابنا هذا؛ "التلمذة الحقيقية"، عام ١٩٦٢، والذي كان له عميق الأثر في حياة الآلاف، من ضمنهم محرِّر هذه الطبعة، وتُرجم حتى الآن إلى ٤٥ لغة!

ترك وليام منصبه، في مدرسة عمواس، وجاب العالم لمدة سبع سنوات، يعلم، ويدرب، ويعيش بالكلية للرب. أنشأ برنامج التلمذة الداخلي *Discipleship Intern Training Program*. كتب ٨٤ كتابًا من ضمنهم "تفسير الكتاب المقدس للمؤمن". رفض تحقيق أي مكاسب شخصية منها. بل كان يكتفي بسد ضروراته الأساسية، ويقدِّم الباقي بأكمله لعمل الرب. بل أسس صندوقًا لدعم ترجمة كتبه، خاصة التفسير، لتصل بتكلفة في متناول الجميع.

قال عنه واحد ممن عاصروه: "لمدة ستين عام كان معلّمًا، واعظًا، راعيًا، ومؤلفًا. كان وليام ماكدونالد الرجل الذي قال وكتب الكثير؛ ومع ذلك، فبالنسبة لأولئك الذين عرفوه جيدًا، كانت حياته هي التي تركت انطباعًا أكبر. ربما أفضل طريقة يمكن من خلالها الإشارة لحياة وليام، هي زيارة الشقة التي كان يعيش فيها طوال السنوات الأربع والثلاثين الماضية. المبنى غير متميز؛ الواحد كان يتوقع أن مثل هذا الرجل يعيش في منزل كبير في مجتمع متميز مغلق البوابات، وليس في شقة بغرفة نوم واحدة في شارع مزدحم".

كان يقنع بالقليل وهو سعيدًا، ويستغل كل ما في يده وطاقته للمأمورية العظمى. تعلم العطاء من السيد. يُذكر عنه أن مكتبته كانت صغيرة الحجم، وقد صُممت هكذا لغرض: إنه إذا جاء كتاب جديد فلا بد أن يعطي واحدًا من الكتب التي قرأها لمصلحة شاب متشوق للقراءة ولا يستطيع اقتناء الكتاب! لم يكن يتأخر يومًا عن تقديم العون الروحي والمادي لمن يرى فيهم احتياجًا. وكان الحديث الذي يلذ له هو عن الرب.

وخلافًا للعديد من الذين أصبحوا كثيري التبرّم ومُرّي النفس مع تقدّمهم في السن، كان وليم يزداد مع تقدّم العمر، طيبة قلب وحرارة وتعاطفًا. كان يشابه المسيح أكثر فأكثر.

وبعد حياة عاش فيها ما علّم به، وتجلّت فيها بصفة خاصة ما كتبه في الكتاب الذي بين يديك؛ انطلق ليكون مع سيده في ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٧، بعد أن أكمل ما أوكله الرب عليه على أكمل وجه.

تقديم

هذا الكتاب هو محاولة لإبراز بعض مباديء التلمذة. رأى بعضنا هذه المباديء في كلمة الله منذ سنوات، ولكن وصل إلى قرار في نفسه أن هذه المباديء متزمِّتة جدًا، وغير عملية في عصر معقَّد نعيش فيه اليوم. وهكذا نستسلم لبيئة الحياة الروحية الباردة.

بعد ذلك نتقابل مع مجموعة من المؤمنين الشباب الذين عقدوا العزم ليبرهنوا أن شروط التلمذة التي وضعها المخلِّص ليست فقط عملية جدًا، بل وأنها الشروط الوحيدة التي ستؤدّي إلى توصيل البشارة إلى العالم.

ونحن نعترف أننا مديونون لهؤلاء الشباب الذين زوَّدونا بالمثال الحي لكثير من الحقائق التي أبرزناها هنا.

ولأن هذه الحقائق ما زالت أبعد من أن نكون قد اختبرناها؛ فنحن

نعرضها هنا من قلوب مشتاقة لرؤيتها بحياتنا.

* * * *

وهذا الكتاب، في طبعاته القديمة، كان يتكون من الفصول الثلاثة عشر الأولى من هذه الطبعة، وللمزيد من الفائدة أُضيفت مادة كانت قد نشرت في كتيب صغير بقلم الكاتب تحت عنوان "أين كنزك؟". ولأن المضمون يرتبط كثيرًا بموضوع التلمذة، ارتأينا أن نضمه هنا وهو يشكل الفصول ١٤-١٨.

أما الفصلين ١٩، ٢٠ من هذه الطبعة، هما في الأصل مقالة مستقلة للكاتب بعنوان "يا رب اكسرني!"، أضيفا أيضًا لاستكمال الفائدة، ولتنخرج هذه الطبعة مزيدة ومنقحة، مشفوعة بالصلوات أن يستخدمها الرب لمجد اسمه، وليكون سبب بركة لكل من يقرأه كما كان سبب بركة للكثيرين على مَرِّ السنين.

المقدمة

تبدأ طريق التلمذة الحقيقية لحظة ولادة الشخص الولادة الثانيـــة. إن الأمر يبدأ بحدوث ما يلي:

- أن يعترف الإنسان بأنه خاطئ وأعمى وعريان أمام الله.
- أن يقرّ بأن أعماله الـــصالحة وأخلاقـــه الرفيعـــة عـــاجزة عـــن تخلّيصه.
- أن يؤمن بأن الرب يسوع المسيح مات على الصليب بديلاً عنه.
- أن يعترف بالمسيح ربًّا ومخلِّصًا وحيدًا له، وذلك بإيمـــان حقيقـــي عميق.

على هذا النحو يُصبح الإنسان مسيحيًا حقيقيًا. وجدير بنـــا أن نـــشدّد على هذا منذ البداية؛ إذ يعتقد الكثيرون بأنهم يصبحون مسيحيين إذا هـــم

عاشوا حياة مسيحية! كلا البتة، فعلى المرء أن يصبح مسيحيًا قبل أن يتمكن من أن يعيش الحياة المسيحية.

إن حياة التلمذة التي يعرضها هذا الكتاب هي حياة فوق الطبيعية، وليس لدينا القدرة في ذواتنا على عيشها، بل نحتاج إلى قوة إلهية. وعندما نولد ثانية، وعندئذ فقط، سنحصل على القوة التي تمكّننا من أن نحيا الحياة التي علّم بها الرب يسوع.

فقبل شروعك بالقراءة، اسأل نفسك:

هل سبق لي أن وُلدتُ ثانيةً؟

وهل صرتُ ابنًا لله بالإيمان بالمسيح يسوع، وقبوله مخلّصًا شخصيًا لحياتي؟

إذا كان جوابك بالنفي، فاقبله الآن ربًّا ومخلّصًا، مصمّمًا على إطاعته في كل ما يوصيك به، مهما كلّف الأمر.

١

شروط التلمذة

المسيحية الحقيقية هي تسليم كليّ تام للرب يسوع المسيح. إن المخلّص لا يبحث عن رجال ونساء يعطونه أوقات فراغهم المسائية، أو عطلة نهاية الأسبوع، أو سنين تقاعدهم؛ بل بالحري يبحث عن أناس يعطونه **المكان الأول في حياتهم.**

"يطلب المسيح اليوم، كما كان يطلب دائمًا، لا جماهير تتبعه على غير هدى، بل أفرادًا من الرجال والنساء يتبعونه عن ثقة وإدراك، مستعدين لأن يسيروا في طريق إنكار الذات الذي سار هو فيه من قبلهم" إيفان هوبكنز

ليس إلا التسليم غير المشروط يصلح أن يكون تلبية لائقة لذبيحة المسيح على الجلجثة. محبته الإلهية الفائقة لا يمكن أن ترضى إلا بتسليمه نفوسنا وحياتنا وكل ما لنا.

يطلب الرب يسوع مطاليب عسيرة من الذين يتبعونه في التلمذة، مطاليب تُغفَل في هذا العصر الذي يتسم بالتنعّم والرفاهية. فكثيرًا ما نظرنا إلى المسيحية كمهرب من جهنم وكضمان للسماء! وشعرنا بعد ذلك بأنّ لنا الحق في أن ننعم بأطيب ما تقدّمه الحياة. ثم إننا نعلم أن هنالك آيات كثيرة في الكتاب المقدس تتكلم عن التلمذة، ولكن يصعب علينا أن نوفّق بينها وبين أفكارنا عن المسيحية وماذا ينبغي أن تكون.

نحن لا نستغرب أن يبذل الجنود حياتهم حبًا بالوطن، ولا نستغرب أن يبذل الناس حياتهم من أجل دوافع سياسية؛ وأما أن تنطوي حياة تابع المسيح على *"الدم والعرق والدموع"* ففكرة بعيدة عن أذهاننا.

إلا أن كلام المسيح واضح وقاطع بمقدار لا يترك مجالاً لسوء الفهم أو سوء التأويل، بشرط أن نقبل معناه الصريح الواضح. وها هي شروط التلمذة كما وضعها مخلص العالم نفسه:

١ - محبة قصوى للمسيح

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَه وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (لوقا ١٤: ٢٦).

هذا لا يعني أن نبغض أقاربنا أو نحقد عليهم، بل يعني أن محبتنا للمسيح يجب أن تكون قوية جدًا، بحيث تبدو كل محبة أخرى وكأنها بغضة إذا ما قورنت بها. وفي الواقع إن أصعب عبارة في هذا الفصل هي قوله «حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا». فإن محبة النفس من أشد العقبات التي تعرقل التلمذة. فان لم نضع حياتنا نفسها له، ونسلمها ليده تمام التسليم، لا نصل إلى المكان الذي يريده لنا.

٢- إنكار النفس

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ...» (متى ١٦: ٢٤).

ليس إنكار النفس كقهر النفس. فقهر النفس يعني: الامتناع عن بعض الأطعمة أو بعض الملذات أو التخلي عن بعض الممتلكات، لكن إنكار الذات يعني إخضاع النفس وتسليمها لسيادة المسيح؛ فتتخلى عن حقوقها وسلطانها، وتتنازل عن عرشها. وقد عبّر عن ذلك هنري مارتن بقوله: "لا تسمح يا رب أن تكون لي إرادة من ذاتي، ولا أن أعتبر سعادتي الحقيقية متوقفة- حتى أقل درجاتها- على شيء يأتيني من الخارج؛ بل أن أعتبرها متوقفة بالكلية على طاعتي التامة لمشيئتك".

٣- حمل الصليب طوعًا واختيارًا

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ...» (متى ١٦: ٢٤)

ليس الصليب ضعفًا جسمانيًا، ولا ألمًا نفسانيًا، ولا شيئًا مما يصيب

البشر عامةً؛ بل هو طريق نختاره بأنفسنا طوعًا، وإن كان يُعَدُّ في نظر العالم هوانًا وعارًا. فالصليب يمثل العار والاضطهاد والضيق، الذي صبّه العالم على ابن الله، وما زال يصبّه على جميع الذين يختارون أن يقفوا ضد التيار. وفي مقدور أي مؤمن أن يتجنب الصليب إن أراد، وذلك بمشابهته العالم ومجاراته لطرق أهله.

٤- انفاق الحياة في اتباع المسيح

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ، وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ، وَيَتْبَعْنِي» (متى ١٦: ٢٤).

لكي نفهم هذا، علينا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: "ما الذي ميَّز حياة الرب يسوع المسيح؟" لقد كانت حياة المسيح حياة الطاعة لإرادة الله، حياة في قوة الروح القدس، حياة خدمة مضحّية لاجل الآخرين، حياة صبر وطول أناة في مواجهة أشد الآلام وأفظع الإساءات. كانت حياة غيرة لله، وبذل، وضبط نفس، ووداعة، ولطف، وأمانة، وولاء. فقد ظهر فيها ثمر الروح المذكور في غلاطيه٥:٢٢و٢٣. فإن أردنا أن نكون تلاميذه، مظهرين ثمر حياة التشبّه به في حياتنا (يوحنا ١٥: ٨)، فعلينا أن نسلك كما سلك هو.

٥- محبة قوية لجميع تابعي المسيح

«بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يوحنا ١٥: ٣٥).

هذه هي المحبة التي تحترم الآخرين أكثر من النفس. المحبة التي تستر كثرة من الخطايا. الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ الَّتِي لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ الَّتِي لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلاَ تَحْتَدُّ وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ. وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ (١كورنثوس ١٣: ٤-٧).

دون هذه المحبة، تصبح التلمذة زُهدًا باردًا، وتنسكًا طقسيًا لا قيمة له.

٦ـ ثبات دائم في كلمة الله

«إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي»

(يوحنا٨: ٣١).

لأن التلمذة الحقيقية تتميّز بالاستمرار والدوام، فما أسهل أن نبدأ حسنًا، وأن تشرق منّا ومضات من المجد والبهاء بين آن وآخر؛ إنما محكّ الحقيقة هو الثبات إلى النهاية. «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ» (لوقا ٩: ٦٢). لهذا فإن الوصايا المتقطعة لوصايا الكتاب المقدس، والاتباع المجزّأ لتعاليمه، لا يكفيان ولا ينفعان. لأن المسيح يطلب من كل اتباعه طاعة دائمة، متواصلة على غير انقطاع ودون سؤال، كما تعبر عن ذلك الترنيمة التي مطلعها:

صمَّمت أني أتبع يسوع أتبع يسوع بلا رجوع
احفظني إلهي من الرجوع وضعت يدي على المحراث
احفظني من الرجوع

٧- ترك كل شيء في سبيل اتّباعه

«فَكَذلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (لوقا ١٤: ٣٣).

ربما يكون هذا هو أقل الشروط تطبيقًا بوجه عام. وقد يكون هو أثقل جميع شروط التلمذة على آذان الناس. وعلماء اللاهوت يستطيعون بمهارتهم أن يعرضوا لك ألف سبب ليبرهنوا ان هذا العدد لا يعني ما يقوله. أما التلاميذ البسطاء فيقبلونه بتمامه، عالمين أن الرب يسوع كان يعلِّم ويعني ما يقول.

فما معنى القول «يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ»؟ معناه ترك كل ما نملك ماديًا، ممّا لا يكون ضروريًا جدًا لنا، ليُستخدم في نشر الإنجيل.

ومن يترك الكل لا يصبح متعطلاً متسكعًا في الشوارع، لكنه يشتغل بجدّ ليوفِّر لنفسه وعائلته ضروريات الحياة ولوازمها العادية. لكن ما دامت رغبة حياته المُلحّة هي في امتداد عمل المسيح، فهو يضع كل شيء يزيد عن حاجاته الضرورية في عمل الرب، ويترك أمر المستقبل لله. وهو، إذ يطلب أولاً ملكوت الله وبره، يؤمن أنه لن يعوزه طعام ولا لباس. ولا يستطيع بضميره ووجدانه أن يحتفظ بالمال الذي يزيد عن حاجته، بينما

النفوس تهلك بعدم معرفتها بالإنجيل. ولن يقضي حياته في جَمع أموال سيأخذها إبليس، حينما يعود المسيح ليخطف قديسية. بل يريد أن يطيع وصية الرب التي تأمره بأن لا يكنز لنفسه كنوزًا على الأرض. وهو في تركه لكل شيء، يقدّم ما لا يمكنه أن يحتفظ به.

* * * *

هذه إذن هي الشروط السبعة للتلمذة المسيحية. وهي صريحة وقاطعة. وان الكاتب لَيُدرك أنه، وهو يضع هذه المبادئ والشروط، يحكم على نفسه أنه عبدٌ بطال. لكن هل نخفي حق الله، بسبب عدم أمانة شعبه؟ أليس حقًا أن الرسالة هي، دائمًا وأبدًا، أعظم من حاملها؟ أما يحقّ لنا أن نقول مع أحد القديسين القدامى "لتكن إرادتك، ولو هلكت أنا في سبيل ذلك".

وإذ نعترف بفشلنا الماضي، فلنواجه – بشجاعة – مطالب المسيح منّا، ونسعَى، من الآن فصاعدًا، أن نكون تلاميذ حقيقيين لربنا المجيد!

سيدي قدني إلى المدخل
المس نفسي وفي قلبي افعل
قيودك حرية وكلّها أمل
اعنّي يا سيدي معك لأعمل
اعنّي سيدي لأطيع واحتمل

٢

تـرك كل شيء

«فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (لوقا ١٤: ٣٣).

إذا أراد أحد أن يكون تلميذاً للرب يسوع فعليه أن يترك الكل. فكلمات المخلّص هذه واضحة المعنى، لا تقبل مواربة ولا تحويرًا. ومهما كان اعتراضنا على هذا الطلب المتطرّف، ومهما ثُرنا على هذه السياسة المستحيلة غير الحكيمة؛ تبقى الحقيقة ناصعة قاطعة، وهي أن كلمة الرب هذه صريحة حتمية، وهي تعني ما تقول. ولنلاحظ – بادئ

بدء – أنه يجب علينا أن نُواجه هذه الحقائق الصادقة الهامة:

١- إن يسوع لم يقدّم هذا الطلب إلى نخبة مختارة من الخدام المسيحيين، بل قال: «**كُلُّ وَاحِدٍ** مِنْكُمْ...».

٢- ولم يَقُل: "يجب أن نكون راغبين في ترك الكل"، بل قال: «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ **لاَ يَتْرُكُ**...».

٣- ولم يقل يجب أن نترك جزءًا من أموالنا، بل قال «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ **جَمِيعَ** أَمْوَالِهِ...».

٤- ولم يَقُل بنوع من التلمذة المخفّفة، التي تتيسر للإنسان الذي يتمسك بأمواله وكنوزه، بل قال «... **لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا**».

وفي الحقيقة، يجب ألا ندهش لهذا الطلب الضروري المُلحّ، كما لو كان الطلب الوحيد من نوعه في الكتاب المقدس كله.

ألم يقُل الرب يسوع: «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ، حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ».

أو كما قال ويسلي بحق: "قد حرم الرب يسوع اكتناز الكنوز في الأرض، كما حرم الزنى والقتل".

ألم يقل الرب أيضًا: «بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً» (لوقا ١٢: ٣٣). ثم ألم يقل للشاب الغني: «بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ؛ فَيَكُونَ لَكَ

كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي» (لوقا ١٨: ٢٢).

فلو لم يكن تمامًا ما قاله، فماذا كان يعني إذا؟

أليس هذا ما فهمه المؤمنون في كنيسة العصر الأول، حتى إننا نقرأ عنهم: «وَالأَمْلاَكُ وَالْمُقْتَنَيَاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احْتِيَاجٌ» (أعمال ٢: ٤٥)؟ أوَليس هذا ما فعله كثيرون من قديسي الله على مرّ الأعوام؛ فأطاعوا هذه الوصية بجملتها وتركوا كل شيء وتبعوا الرب يسوع؟ هكذا فعل أنطوني نورس جروفس وزوجته، وهما من طلائع المرسلين إلى بغداد بالعراق، إذ اقتنعا بأن عليهما ألا يكنزا كنوزًا على الأرض، بل أن يكرّسا كامل دخلهما الكبير جدًا لخدمة الرب.

وهكذا فعل "شارل ستاد"؛ إذ صمّم أن يقدّم كل ما يملك للمسيح، وأن يغتنم الفرصة الذهبية التي فشل الشاب الغني في اغتنامها عندما عرضها عليه الرب. وقد عمل "ستاد" بالوصية حرفيًا؛فوزّع ألوفًا من الدولارات لعمل الرب، وأبقى ما يعادل ٩٥٨٨ دولارًا لعروسه. ولم تكن هي أقل منه استعدادًا للتضحية والبذل، فابتدرته بالسؤال قائلة: "شارلي! ماذا قال يسوع للشاب الغني؟". أجاب: "قال له: بِعْ كُلَّ مَا لَكَ". قالت: "فلنبدأ إذا بتنفيذ وصايا الرب من وقت زفافنا". فكان أن قدّما مالهما للإرساليات المسيحية.

وهذا هو روح التكريس الذي ملأ قلب "جيم إليوت"، فكتب في مذكراته يقول:

"يا أبي السماوي، اجعلني ضعيفًا بحيث لا أستطيع أن أمسك بيدي أي شيء زمني، واجعلني غير متمسك بحياتي ولا بصيتي ولا بممتلكاتي. يا أبي اجعلني أفقد حبّي لكل عزيز محبوب سواك. فكم مرة أرخيت قبضة يدي عن شيء لأربح شيئًا أثمن منه، تحقيقًا لرغبة حسبتها بريئة. ومُد يا رب يدي، عوضًا عن ذلك، لأقبل مسمار الجلجثة كما مدّ المسيح يديه، حتى إذا تركت الجميع أستطيع أن أنجو من كل ما يربطني ويقيّدني. وكما إن ابنك المبارك أخلى نفسه وترك السماء، وهو المساوي لك، كذلك دعني أنا أيضا يا رب أتخلى عن كل ثمين مرخيًا قبضتي عن كل ما أتمسك به".

قد نظن أنه من المستحيل علينا أخذ كلمات الرب هذه حرفيًا. وقد توحي إلينا قلوبنا أننا لو تركنا كل شيء سنموت جوعًا، وتحضّنا على أن ندّخر لمستقبلنا ومستقبل أولادنا وأعزائنا، ونتساءل: لو ترك كل مسيحي كل شيء، فمن ينفق على عمل الرب؟ وإن لم يكن بعض المسيحيين أثرياء، فكيف يتسنّى للإنجيل أن يصل إلى الطبقات العليا من الناس؟ ونسترسل في الجدل والبحث لنقنع أنفسنا أن الرب يسوع لم يكن يعني ما قاله.

وفي الواقع إن إطاعة وصية الرب هي أحكم أمر، لان النفس المطيعة له تحظى بالفرح الحقيقي. ويشهد الكتاب المقدس – كما يشهد الاختبار – إن الرب يسد إعواز كل من بذل لأجل المسيح وضحى؛ فالله يعتني – ولا شك – بكل من أطاعه، ويهتم بأموره.

لا شك أن من يترك كل شيء ويتبع المسيح لن يصبح مسكينًا

يتضوّر جوعًا ويتسكع في الشوارع منتظرًا أن يعوله إخوته المسيحيون. بل يكون:

١- **مجتهدًا نشيطًا**، يعمل بجدّ وهمّة لسدّ مطالب احتياجاته واحتياجات أسرته.

٢- **ومقتصدًا معتدلاً**، فيعيش على مبادئ اقتصادية معتدلة، ما أمكن. بحيث يعطي كل ما يزيد عن حاجاته الضرورية لعمل الرب.

٣- **بعيد النظر** فلا يجمع ثروة على الأرض، بل يكنز كنوزًا في السماء.

٤- **وواثقًا بالرب** مسلِّمًا المستقبل بين يديه. فبدلاً من أن يصرف شبابه وأفضل سنيّ حياته في جمع ثروة تسد عوز شيخوخته، يقدّم قوة الشباب وأفضل سني العمر لخدمة المسيح، ويثق به للمستقبل، مؤمنًا بأنه إذ يطلب ملكوت الله وبره لن يكون في حاجة إلى طعام أو لباس لأن هذه كلها تُزاد له (متى ٦: ٣٣).

ثم أنه لا يؤمن بادخار القرش الأبيض لليوم الأسود، وحجّته في ذلك ما يأتي:

١- كيف يمكن أن نحتفظ بالمال وندخره للمستقبل المجهول، في حين يمكننا أن نستعمله حاليًا لخلاص النفوس؟ ليسأل هذا نفسه «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَه عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟» (١يوحنا ٣: ١٧). ثم تأملوا وصية الرب العظمى المهمة أن «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (لاويين ١٩: ١٨). فهل نتمّم هذه الوصية إن كنا نترك أقرباءنا يموتون جوعًا، بينما نحن

نأكل ويفضل عنّا الخبز؟ هل استعين بواحد ممن اختبروا فرح عطية الله التي لا يعبّر عنها وأسأله: "هل ترضى أن تستبدل بهذا الاختبار مائة عالم؟" إذًا علينا ألا نحرم الآخرين من الوسائط التي تمنحهم حياة التكريس وتعزية السماء.

٢- لو كنا نؤمن حقًا أن المسيح آتٍ ثانية، لَكرّسنا أموالنا لخدمته. وإلا تعرّضت هذه الأموال لقبضة إبليس، وقد كان بالإمكان استعمالها لبركة الكثيرين.

٣- كيف نستطيع أن نصلّي بضمائر مخلصة طالبين من الله أن يدبّر المال اللازم لعمله، ونحن نأبى أن نستخدم أموالنا لهذا الغرض؟ فلو كرّسنا كل مالنا لأجل المسيح لأنقذنا أنفسنا من الرياء في الصلاة.

٤- كيف نقدر أن نعلّم الآخرين مشورة الله، إن كانت هناك حقائق كهذه نقصّر عن إطاعتها وتنفيذها؟ فإن حياتنا في مثل هذا التقصير تعطّل شهادة أفواهنا.

٥- إن أهل العالم الماهرين يحتاطون للمستقبل، وسلوك كهذا يكون بالعيان لا بالإيمان. أما المسيحي فمدعو لحياة الاعتماد على الله. فإن كان ينصرف إلى جمع كنوز على الأرض، فكيف يختلف عن أهل العالم وطرقهم. ويتذرّع هؤلاء بحجة ادّخار المال لمستقبل عائلاتهم، خوفًا من أن يصبحوا شرًا من غير المؤمنين. ويقتبسون عادة العددين التاليين لتأييد هذا الرأي: «لأَنَّ يَنْبَغِي أَنَّ الأَوْلاَدَ يَذْخَرُونَ لِلْوَالِدِينَ بَلِ الْوَالِدُونَ لِلأَوْلاَدِ» (٢كورنثوس ١٢: ١٤).

«وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ» (١تيموثاوس ٥: ٨).

ودراسة دقيقة لهذين العددين، تبيّن بأنهما يعالجان موضوع الحاجيات الضرورية اليومية، ولا يشيران إلى الضمانات المستقبلية.

ففي العدد الأول يستخدم بولس أسلوبًا تهكميًا تشبيهيًا. فهو الأب، وأهل كورنثوس المؤمنون أولاده. وهو لم يثقّلهم ماليًا، مع أنه كان يملك كل الحق في أن يفعل ذلك بصفته خادمًا وعبدًا للرب. وكان علاوة على ذلك، أباهم في الإيمان، والآباء عادة يدّخرون لأجل الأولاد، لا الأولاد لأجل الوالدين. فالموضوع ليس موضوع ادّخار الوالدين لمستقبل الأولاد؛ لأن الفصل بجملته يختصّ بسد حاجات بولس الحاضرة، لا بضروريات مستقبله التي قد تنشأ فيما بعد.

في ١تيموثاوس ٥ : ٨ يعالج الرسول موضوع العناية بالأرامل. وهو يشدّد على أن أقرباءهن مسؤولون عن العناية بهن. فإن لم يكن لهن أهل، أو قصّر أهلهن في مسؤولياتهم نحوهن، فعلى الكنيسة المحلية أن تعتني بهؤلاء الأرامل المسيحيات. إذ ترى هنا أيضًا أن الموضوع يختص بالاحتياجات الحاضرة، لا بضروريات المستقبل.

إن المثل الأعلى الذي يقدّمه الله، هو أن أعضاء جسد المسيح يجب أن يهتموا بالحاجات الضرورية الحاضرة لإخوتهم المؤمنين.

وقد شرح بولس الرسول هذا الأمر فبيّن أنه يقصد المشاركة والمساواة فقال: «فَإِنَّهُ لَيْسَ لِكَيْ يَكُونَ لِلآخَرِينَ رَاحَةٌ وَلَكُمْ ضِيقٌ، بَلْ

بِحَسَبِ الْمُسَاوَاةِ. لِكَيْ تَكُونَ فِي هَذَا الْوَقْتِ فُضَالَتُكُمْ لأَعْوَازِهِمْ، كَيْ تَصِيرَ فُضَالَتُهُمْ لأَعْوَازِكُمْ، حَتَّى تَحْصُلَ الْمُسَاوَاةُ.» (٢كورنثوس ٨: ١٣-١٥).

لقد تم معالجة هذا الموضوع بشكل مطوّل في الفصل الثامن عشر، قضية "رأس المال المجمَّد".

عندما يقتنع المسيحي بوجوب الادّخار لاحتياجات المستقبل، يواجه صعوبة تقدير الكمّ الذي سيحتاجه؛ ومن ثمّ ينفق حياته في السعي لجمع الثروة غير المعروف حجمها. وبهذا يحرم نفسه من فرصة تقديم أحسن ما عنده للرب يسوع المسيح. وعندما يصل إلى نهاية حياته، التي سبق أن أتلفها، يجد أن كل احتياجاته كانت ستعطى له، على أية حال، لو أنه عاش من كل قلبه للمخلِّص.

لو أن كل المؤمنين قبلوا كلمات الرب يسوع حرفيًا، لَما كان هناك أي نقص ماليّ في عمل الرب، ولكانت البشارة قد انطلقت بقوة وحجم أكبر. لو حصل لأي من التلاميذ إعوازًا ما، لكان من امتياز وفرح التلميذ الآخر أن يزوّده باحتياجه مما يمكن أن يكون لديه.

ثم إنه من الحماقة أن نقترح وجوب أن يكون مؤمنون أغنياء لكي يصلوا إلى الأغنياء أمثالهم. لقد وصل بولس إلى بيت قيصر بينما كان هو سجينًا (فيلبي ٤: ٢٢). يمكننا أن نثق بالله أن يرتّب التفاصيل بينما نحن نبقى أمناء له.

يجب أن يكون مثال الرب يسوع حاسمًا في الموضوع. ليس العبد أفضل من سيده. لقد آمن جورج مولر بهذا المبدأ، فقال: "إنه لفكر

مريض، أن يسعى الخادم ليصبح غنيًا وعظيمًا ومحترمًا في هذا العالم الذي كان فيه سيده فقيرًا، متواضعًا، ومحتقرًا"!

وقد كتب أنتوني نوريس جروف ما يلي:

التألم مع المسيح يحتوي الفقر (٢كورنثوس٨:٩). من الطبيعي أن الفقر لا يعني الخرق البالية وقذارة العيش، لكنه يعني النقص في الضمان ومقومات متعة الحياة.

ويقول أندرو موري:

"لم يكن باستطاعة المسيح ورسله القيام بما عملوه لو لم يكونوا فقراء. فمن أراد أن يربح إنسانًا عليه أن ينزل إلى مستواه، كما فعل السامري الصالح. والمعروف أن معظم الناس، بل الأغلبية الساحقة منهم، فقراء".

يقول بعض الناس إن هناك ممتلكات مادية معيَّنة ضرورية للحياة، وهذا صحيح. ويقولون إن رجال الأعمال المسيحيون في الوقت الحاضر يحتاجون إلى رأس مال للقيام بعملهم، وهذا صحيح. ويقول الناس إن مطالب مادية أخرى، مثل السيارة، يمكن أن تستخدم لمجد الله، وهذا أيضا صحيح.

ولكن في ما عدا الضروريات الجائزة، على المسيحي أن يعيش باقتصاد وتضحية لنشر الإنجيل، وأن يكون شعاره كما قال جروفس: "اعمل بقوة، استهلك قليلا، وأعط كثيرًا، وكل ذلك لأجل المسيح". فكلّ منّا مسؤول أمام الله عن معنى «ترك كل شيء».

وليس لمؤمن أن يشرِّع لآخر، بل على كلّ واحد أن يتصرّف بحسب اختباره الخاص أمام الرب. فهذا أمر شخصي ناشئ عن علاقة فردية

بين الإنسان وربه. فإن قاد الرب مؤمناً إلى نوع من التكريس غريب عن اختباره الخاص، فليس له أن يتكبّر، لأن تضحياتنا كلها لا تُحسب تضحيات في ضوء الجلجثة. وعلاوة على ذلك فنحن إنما نعطي الرب ما لا نستطيع أن نحتفظ به على أية حال. وما أجمل ما قاله جيم اليوت في هذا الصدد:

"ليس غبياً من يعطي ما لا يمكن أن يحتفظ به، ليربح ما لا يمكن أن يفقده".

عقبات في سبيل التلمذة

كلّ من صمّم على اتّباع المسيح عليه أن يتأكد أنه لا بدّ من وجود عقبات تعترض طريقه لتصدّه عن التقدم. وسوف تقوم أمامه فرص عديدة تدعوه للرجوع إلى الخلف. وسوف ترتفع أصوات ليست بقليلة تناديه أن يتخلّف بضع خطوات عن طريق الصليب.

وقد اتّضح هذا في قصة الثلاثة الذين أرادوا أن يكونوا تلاميذ للمسيح ولكنهم فضّلوا أصواتًا أخرى على صوت المسيح:

«وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: يَا سَيِّدُ أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا

تَمْضِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ. وَقَالَ لآخَرَ: إِتْبَعْنِي. فَقَالَ: يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ. وَقَالَ آخَرُ أَيْضًا: أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ وَلَكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ» (لوقا٩:٥٧-٦٢).

ثلاثة أشخاص لم تُذكر أسماؤهم، قابلوا الرب يسوع وجهًا لوجه، وشعروا بدافع داخلي يدعوهم لاتّباعه، ولكن شيئًا ما حال دون تكريس نفوسهم تكريسًا تامًا للمسيح.

المستعجل جدًا

لندعُ الرجل الأول "**المستعجل جدًا**". فقد أبدى هذا حماسة بالغة لاتّباع يسوع، أينما ذهب. قال: «يَا سَيِّدُ أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي»؛ "إني مستعد أن أدفع الثمن مهما بلغ، وأن أحمل الصليب مهما ثقُل، وأن أسير في طريقك مهما وعُر"!

ولكن السيّد يجيبه بطريقة، تبدو تحدّيًا لرغبته الملحّة، فيقول له: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ». وهذا أنسب جواب لذلك السائل؛ فكأنّ المسيح يقول له: "أنت تعلن رغبتك في اتّباعي أينما أمضي، فهل ترضى بأن تستغني عن

وسائل الراحة المادية في الحياة؟ إن للثعالب وسائل للراحة في هذا العالم أكثر مما لي. إن للطيور أعشاشًا، تستطيع أن تدعوها بيوتًا وملاجيء لها، أما أنا فلا بيت لي ولا مأوى. أنتقل من مكان إلى آخر بلا مسكن في عالم صنعته يداي. فهل ترضى أن تضَحّي بأمن البيت وراحته في سبيل إتّباعي؟ هل ترضى أن تضَحّي بوسائل الراحة المشروعة في الحياة لتخدمني بكل ولاء؟".

ويبدو أن الرجل لم يرضَ بذلك، والكتاب المقدس لا يذكره ثانية؛ فقد كان حبّه للراحة الأرضية أفضل لديه من ولائه وتكريسه للمسيح!

المبطيء جدًا

ولندعُ الرجل الثاني **"المبطيء جدًا"**. نلاحظ أن هذا لم يتطوّع كما تطوّع الرجل الأول، بل المخلّص هو الذي دعاه لاتّباعه. ولم يكن جوابه رفضًا صريحًا، بل الظاهر أنه كان أمامه شيء أكثر أهمية. خطيّته العظمى: أنه وضع مطالبه قبل مطالب المسيح. ونلاحظ ذلك من جوابه: «يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي».

من الضروري أن يحترم الابن أباه ويكرمه، ومن الواجب أيضًا أن يدفنه عندما يموت بكل احترام وتكريم. ولكن هذه المجاملات الشرعية تصبح خطية شنيعة، إذا ما حالت دون اتّباع المسيح. فهذا الرجل ينكشف طموحه ويُعرف على حقيقته عندما يجيب المسيح: «يَا سَيِّدُ... لِي... أَوَّلاً...». أما باقي كلامه فكان تورية لإعطاء النفس المكان الأول.

يظهر أن ذاك الرجل لم يدرك أن قوله: «يَا سَـيِّدُ... لِـي... أَوَّلاً...». أمر مضحك، مستحيل. فإن كان المسيح سيّدًا فيجب أن يكون أولاً. وعندما يضع الإنسان نفسه أولاً ويتوّجها على العرش، يضيع سلطان المسيح وسيادته. "المبطيء جدًا" كان له عمل يتمّمه، وجعل لهذا العمل المكان الأول. لذلك كان من اللائق أن يقول له المسيح: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ». ويمكننا أن نوضّح كلماته هكذا: توجد أشياء يستطيع أن يقوم بها الموتى روحيًا، كما يقوم بها المؤمنون. إنما توجد أشياء أخرى في الحياة لا يستطيع أن يقوم بها سوى المؤمن؛ فلا تضيّع حياتك في عمل شيء يستطيع أن يقوم به سواك من غير المؤمنين. دع الموتى روحيًا يدفنون موتاهم جسديًا، أما أنت فكُنْ رجلاً لا يُستغنى عنه في عمل ملكوت الله. فاجعل هدفك الأسمى في الحياة أن يكون نشر ملكوتي على الأرض.

ويبدو أن هذا الثمن كان أعظم من أن يدفعه "المبطيء جدًا". ولذلك لا نسمع له ذكرًا في ما بعد. وإن كان الرجل الأول قد أظهر أن وسائل الراحة الماديّة قد تكون عقبة في سبيل التلمذة، فإن الرجل الثاني أظهر أن العمل، أو المهنة، قد يكونان عقبة إذا ما احتلا المكان الأول، أو صارا الهدف الرئيسي في حياة المسيحي الحقيقي. ليس في الأعمال الدنيوية خطر أو خطأ، فإن الله قد رتب أن يعمل الانسان ليعول نفسه ويدبّر حاجات عائلته. ولكن حياة التلمذة الحقيقيّة تتطلب أن نضع ملكوت الله وبرّه أولاً، وتتطلّب أن لا يضيّع المؤمن حياته في عمل ما يستطيع الانسان العادي غير المؤمن أن يفعل مثله، إن لم يكن أفضل

منه. وإن الهدف من العمل هو مجرّد توفير ضروريّات المعيشة بينما دعوة المؤمن الرئيسية وشغله الشاغل هو المناداة بملكوت الله.

المتردّد جدًا

أما الرجل الثالث فندعوه "المتردّد جدًا". وهو يشبه الأول إذ تطوّع لاتباع الرب، وهو يشبه الثاني في الكلمات نفسها «يَا سَيِّدُ... لِي... أَوَّلاً...». إذ قال: «أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ وَلكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي».

ونسلم مرة أخرى بأنه لا يوجد خطأٌ أساسيّ في هذا الطلب بحدّ ذاته، فليس في إظهار الاهتمام بأحد أقربائنا أو في مجاملة أحبّائنا عند وداعهم أي شيء يناقض وصايا الله. فما هي إذًا نقطة الضعف وموطن الخطإ في تصرّف هذا الرجل؟ مشكلته أنه سمح للعلاقات الطبيعية الوديّة أن تاخذ مكان الصدارة وتتقدم على علاقته بالمسيح.

ولذلك يقول له المسيح بنظر ثاقب: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ». وكأن المسيح يقول له: "لا أريد تلاميذ مسترخين مدلّلين، بل أناسًا حازمين جديّين، يعطونني المكان الأول في حياتهم ويحسبون علاقاتهم بي أفضل من علاقاتهم العائلية الأخرى".

ولا شك أن "المتردّد جدًا"، ترك يسوع ومضى حزينًا في الطريق. فإن طموحه الشديد لأن يكون تلميذًا للمسيح قد تحطّم على صخرة العلاقات العائلية. ربّما كانت أمه تبكي وتنتحب وتقول له: "إنك تكسر قلب أمّك إن تركتني وذهبت إلى حقل خدمة الرب". لا نعلم ذلك على

وجه التحديد، إنما كل ما نعلمه هو أن الكتاب المقدس لم يذكر اسم هذا المتردّد، الذي عاد على أعقابه، ففقد بذلك أعظم فرصة في حياته، واستحق الحكم: «لا يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ».

إذًا توجد ثلاث عقبات رئيسية في سبيل التلمذة الحقيقية، يوضّحها هؤلاء الرجال الثلاثة الذين لم يكونوا مستعدين للسير كل الطريق مع الرب يسوع.

المستعجل جدًا	***إيثار وسائل الراحة الأرضية.***
المبطيء جدًا	***تفضيل العمل أو المهنة.***
المتردّد جدًا	***الميل إلى العلاقات العائلية.***

ما يزال الرب يسوع يدعو، كما دعا من قبل، أتباعًا من الأبطال المضحّين غير المترددين.

وما زالت العقبات وسبل الهرب ميسورة؛ تعرض نفسها بعباراتٍ مغريةٍ قائلة: "انقذ نفسك! حاشاك! لا يكون لك هذا".

وما أقل الذين يقبلون تلبية النداء ويختارون المسيح أسنى نصيب!

قابلاً حمل صليبي أتبع الفادي الأمين
راضيًا إنكار ذاتي وارتدا العار المهين

٤

التلاميذ هم وكلاء

روى الرب للتلاميذ مَثَل وكيل الظلم (لوقا ١٦: ١-٣١)، وفيه يضع الرب المبادىء التي تنطبق على مدى العصور. أليس التلاميذ وكلاء، عَهَدَ الرب اليهم بالعناية بممتلكاته ومصالحه هنا على الارض؟

وهذا المَثَل عسر الفهم، يبدو وكأنّه يشجع على الغش والاحتيال. لكن عندما يُفهم على حقيقته، فهو مليء بتعاليم ذات أهمية كبرى جدًا.

وقصة هذا المثل تتلخّص في أن رجلاً ثريًا استأجر وكيلاً، وعَهَدَ اليه بالإشراف على أعماله. وبعد مضي مدة من الزمن، عرف السيد

أن وكيله يتلاعب بماله؛ فطلب حالاً من وكيله أن يقدّم حساب وكالته، مع تدقيق كامل في حساباته، وأعطاه إنذارًا بإنهاء خدمته.

فأدرك الوكيل أن مستقبله كئيب مظلم. فقد كان متقدّمًا في السن، بحيث لا يستطيع أن يقوم بعمل يدوي متعب، وكان خجولاً يستحي بأن يستعطي. وسرعان ما خطر له خاطر يضمن له أصدقاء في أيام المحنة القادمة. فذهب إلى واحد من مديوني سيده وسأله: "كَمْ عَلَيْكَ لسَيِّدِي؟" فأجاب: "مِئَةُ بَثٍّ زَيْتٍ" أي ما يعادل ثلاثة آلاف لتر من الزيت. فقال الوكيل: "ادفع ما يعادل النصف ونضبط الحساب". ثم مضى إلى مديون آخر من مديوني سيّده وسأله السؤال نفسه: "كَمْ عَلَيْكَ لسَيِّدِي؟" فأجاب: "مِئَةُ كُرٍّ قَمْحٍ" أي ما يعادل ثمانية وعشرين طنًا. أجاب الوكيل: "حسنًا إدفع ثلثي القيمة ونسدد الحساب".

وأغرب من تصرّف هذا الوكيل غير الأمين، التعليقُ الذي يليه:

«فَمَدَحَ السَّيِّدُ وَكِيلَ الظُّلْمِ إِذْ بِحِكْمَةٍ فَعَلَ لأَنَّ أَبْنَاءَ هَذَا الدَّهْرِ أَحْكَمُ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ فِي جِيلِهِمْ».

كيف نفهم نحن هذا المديح، الذي يبدو وكأنه يشجّع الخداع والخيانة في المعاملات؟!

هناك أمر مؤكّد لا شك فيه، وهو أن سيّد وكيل الظلم، وسيّدنا المبارك لم يمتدحا هذا الخداع وعدم الأمانة. بل إن عدم الأمانة هي التي سبّبت، بالدرجة الأولى، طرده من العمل. وهل يمكن أن نجد

شخصًا مستقيمًا يشجّع على الغش أو يمتدح الخيانة؟ فمهما حوى هذا المثل من تعاليم، فليس فيه أية إشارة تبرّر الاختلاس أو السرقة على أية حال من الأحوال.

إنّما هناك شيء واحد يستحق أن يُمتدح عليه وكيل الظلم، وهو تخطيطه أو تدبيره للمستقبل. فقد اتخذ خطوات ليؤمّن لنفسه أصدقاء بعد انتهاء وكالته. لقد عمل للمستقبل لا للحاضر.

هذه هي النقطة المركزية في المثل: إن أهل هذا العالم يتخذون خطوات جديدة لتأمين مستقبلهم – أي زمن شيخوختهم وأعوام تقاعدهم – فهم يعملون بكلّ جدّ واجتهاد ليضمنوا لأنفسهم راحة، عندما لا يستطيعون العمل بجد وبالتالي لا يمكنهم الربح. وهم لا يتركون سبيلاً ولا بابًا إلا ويطرقونه ليحصلوا على ضمان اجتماعي.

من هنا نقول إن غير المخلّصين أحكم من المسيحيين الحقيقيين. أما **السبب في ذلك؛ فلأن مستقبل المسيحي هو في السماء، وليس على هذه** الارض. هذا هو بيت القصيد. فإن مستقبل غير المؤمن ينحصر في الوقت الذي يقع بين حاضره والقبر. أما مستقبل المؤمن فهو الأبدية التي تُقضى مع المسيح.

يعلّمنا هذا المثل أن غير المؤمنين، في الاستعداد لمستقبلهم الأرضي، هم أحكم وأنشط من المؤمنين في استعدادهم لمستقبلهم في السماء.

وفي هذه المناسبة يقدّم لنا الرب يسوع التطبيق العملي لهذا المثل فيقول:

«وَأَنَا أَقُولُ لَكُمُ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ».

ويعني بمال الظلم هنا: الثروة والممتلكات الدنيوية، فهذه يمكننا أن نستخدمها لربح النفوس للمسيح.

والنفوس التي نربحها بواسطة أمانتنا في استعمال المال، تسمى في المَثَل: «أَصْدِقَاءَ». وسيأتي يوم فيه يدركنا الموت، أو نُخطف في السحب لملاقاة الرب في الهواء، الأمر الذي يتم سواءٌ كنّا راقدين أم أحياء، ويكون أن «الأَصْدِقَاءَ» الذين ربحناهم بحكمتنا في استعمال أموالنا يكونون معنا في المظال الأبدية.

بهذه الطريقة يخطّط الوكلاء "الحكماء" للمستقبل؛ لا بإنفاق حياتهم في السعي الباطل للحصول على ضمانات في الارض، بل في السعي النشيط المتحمس للحصول على أصدقاء في السماء، أصدقاء ربحناهم بأموالنا. فعندما يتحول المال إلى كتب مقدسة، وأناجيل، وأجزاء من الكتاب المقدس، ونبذ روحية، ومطبوعات دينية أخرى، وعندما يُنفق على خدّام المسيح من مُرسلين وغيرهم، أو يُنفق لتمويل برامج الإذاعات المسيحية وسائر النشاطات المسيحية الأخرى الجديرة بالتشجيع؛ وبعبارة مختصرة: عندما يُستخدم المال لنشر الانجيل في العالم، عندئذ يتحول المال إلى أصدقاء

يرحّبون بنا في السماء. فالمال الذي يُنفق على عمل الرب في هذا العالم هو نفسه المال الذي يكتنز في السماء.

عندما يرى المؤمن أمواله وممتلكاته الزمنية وقد استُخدمت لخلاص النفوس الثمينة، يفقد محبته للأشياء المادية، وتضيع لذّته في الترف والثروة والمظاهر المادية الجذابة، فلا يعود يستسغيها ولا يحبّذها، ويشتاق لأن يرى مال الظلم يتحوّل، بكيمياء إلهية، إلى عُبّاد للحمل يسجدون له إلى أبد الآبدين. وعند ذلك تستأسره فكرة القيام بعمل يؤول إلى مجد أبدي لله، وسعادة أبدية لمن استفادوا به. وكل ما في العالم من ماس وجواهر ولآلئ، وودائع في البنوك وبوليصات تأمين، وقصور ويخوت وسيارات فاخرة، تصبح في عينيه «مَالِ الظُّلْمِ». إن استخدمها المرء لنفسه وحسب، فلا فائدة منها، ولكن، إن أُنفقت لأجل المسيح تحوّلت إلى غنائم وأرباح تبقى إلى الأبد.

والطريقة التي بها نستخدم أموالنا وممتلكاتنا، والمدى الذي به نتمسك ونتعلق بها، هما المحك الذي تُختبر عليه أخلاقنا. وقد أكّد المسيح ذلك في العدد العاشر بقوله: «اَلأَمِينُ فِي الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ وَالظَّالِمُ فِي الْقَلِيلِ ظَالِمٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ».

و«الْقَلِيلِ» المذكور في هذا العدد هو وكالتنا في الأشياء المادية. فالرجل الأمين هو الذي يستخدمها لمجد الله وبركة إخوته. و«الظَّالِمُ» هو الذي يستخدمها لراحته الشخصية ولتنعّمه الذاتي وتمتّعه

الأناني. فإذا كان المرء غير أمين، ولا يمكن أن يُعهَد اليه بالقليل، أي الأشياء المادية، فكيف يمكن أن يُعهَد اليه بالكثير، أي الاشياء الروحية؟ وإن كان غير أمين في "مال الظلم"، فكيف ننتظر منه أن يكون أميناً كخادم للمسيح وكوكيل سرائر الله (اكورنثوس ٤: ١)؟

ويشدّد المخلّص، وهو يخطو خطوة للأمام في برهانه، فيقول: «إِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟» (عد١١).

إن الغنى الحقيقي ليس هو في الكنوز الأرضية، لأن قيمتها محدودة ووقتية. لكن الكنوز الروحية هي الغنى الحقيقي؛ لأن قيمتها لا يمكن أن تُقَاس أو تحدّ. وإذا لم يكن الانسان أميناً في استعمال الأشياء المادية، فهل يقدر أن يكون أميناً في الأمور الروحية؟

ثم يوسع الرب في دائرة كلامة بالقول: «وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلْغَيْرِ فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟» (عد١٢).

إن مقتنياتنا الماديّة ليست لنا، بل هي أمانة من الله، وكل ما نملكه ليس إلا وكالة مقدسة يأتمننا الله عليها. وأما ما يمكننا أن نقول إنه "لنا" بحق فهو ما نبذله من جهود لنكون أمناء في وكالتنا، في سبيل المكافأة التي سنحصل عليها نتيجة لأمانتنا، في الديار الأبدية. فإن لم نكن أمناء في التصرّف بمال الله، فلا نقدر أن نتفهّم حقائق كلمة الله العميقة، ولا يجوز أن ننتظر المجازاة في الحياة الأبدية، وإن كانت الحياة الأبدية نفسها من نصيبنا.

وبعد ذلك نصل إلى الذروة، إذ يلخّص المسيح التعليم الذي ينطوي عليه المثل قائلاً: «لاَ يَقْدِرُ أحد أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ؛ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ».

لا يمكن أن يكون هناك ولاء منقسم، فالتلميذ لا يستطيع أن يخدم معلِّمَين، والوكيل إما أن يحب الله وأما المال. فإن أحب المال فقد أبغض الله.

وضع في ذهنك أن هذا الكلام موجّه للتلاميذ، لا لغير المخلّصين.

٥

الغيرة

يُعذر التلميذ الذي لا يملك قدرة عقلية فائقة، ويُعذر التلميذ الذي لم تتوفر لديه قوة جسمانية فذّة. ولكن لا يُعذر التلميذ الذي يفتقر إلى الغيرة. ألا يُلام من لم يُضرم قلبه بحماس روحي؟!

أليس المسيحيون أتباع ذاك الذي قال: «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي» (يوحنا ٢: ١٧). لقد كان مُخلِصًا منقّذًا غيرة لله ولجميع ما يختص بالله؛ فكيف يرضى لذاته بأتباع فاترين؟!

عاش المسيح حياة ضغط روحي شديد. وهذا ما تشير اليه كلماته:

«وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟» (لوقا ١٢: ٥٠)، كما تشير اليه أيضًا عبارته المشهورة: «يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ» (يوحنا ٩: ٤).

وشهد الرب لغيرة يوحنا المعمدان بقوله: «كَانَ هُوَ السِّرَاجَ الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ» (يوحنا ٥: ٣٥).

وكان بولس الرسول غيورًا جدًا، وقد حاول أحدهم أن يصف غيرة حياته في المقطع التالي:

"أمامنا رجل لا يهتم بجمع زمرة من الأصدقاء، أو ثروة مادية. لا قيمة عنده لخسارة الأشياء العالمية. عاش بلا هم في الحياة، وبلا خوف من الموت. رجل لا يسعى لمنصب، ولا يتحمس لبلد، ولا يسعى إلى تحسين حالته. رجل همه الأوحد إنجيل، له غرض واحد؛ هو مجد الله. حسبه الناس غبيًا؛ فرضي بذلك لأجل المسيح، حسبوه متعصبًا مهيجًا للفتن؛ فلم يعترض على أن يقذفه الناس بما شاؤوا... وإن اعتبروه تاجرًا، أو رب بيت، أو مواطنًا، أو صاحب ثروة، أو رجل علم، أو رجل عالم، أو حتى صاحب ذوق سليم، فلا يؤثر أحدها على سجاياه.

عليه أن يتكلم أو يموت، ولن يحجم عن الكلام حتى إذا أدى به ذلك إلى الموت. لم يعبأ بالراحة، بل راح يجوب البر والبحر فوق الصخور، وفي براري مجهولة لم يسلكها قبله إنسان، وهو ينادي بصوت عالٍ لا يسكت، ولا ينثني عن عزمه. في السجن يرفع صوته، وفي عواصف المحيط لا يهدأ، وقدام المجامع الرهيبة المفزعة وعروش الملوك يشهد للحق. لم يستطع أحد أن يخمد صوته، إلا الموت؛ بل حتى في ساعة الموت، وقبل أن يفصل السيف رأسه عن جسمه، نسمعه يتكلم، ويصلي، ويشهد، ويعترف، ويتوسل، ويناضل، وأخيرًا يبارك الشعب القساة".

وآخرون من رجال الله تذرّعوا بهذه الغيرة الملتهبة نفسها لإرضاء الله. فقد كتب "شارلي ستاد" ذات مرة: "يريد بعضهم أن يعيشوا داخل الكنيسة يسمعون صوتها وقرعات أجراسها. أما أنا فأريد أن أركض لأنقذ إنسانًا على بعد متر من جهنم".

وبهذه المناسبة نذكر، عَرَضًا، أن الذي قاد استاد إلى تكريس تام للمسيح كان مقالاً كتبه ملحد هذا نصه:

"لو كنت أومن حقا وعن يقين بما يؤمن به ملايين المسيحين القائلين بأن معرفة الإيمان وتطبيقه في هذه الحياة يقرزان المصير في الحياة الأخرى، لو كنت أومن بهذا؛ لجعلت الإيمان كل شيء في حياتي. ولحسبت كل تمتع دنيوي نفاية، وكل الهموم الأرضية حماقة، وكل الأفكار الدنيوية والمشاعر العالمية باطلا. لكنت أجعل الإيمان فكري الأول عندما أستيقظ، وآخر صورة ترتسم أمامي قبل أن أستغرق في النوم. وكنت أعمل في قضية الإيمان وحدها، ولا أهتم بعد إلا بالأبدية وحسب. وكنت أقدر أن ربح نفس واحدة للمسيح يعادل حياة كاملة من الألم. وما كانت تعطل يدي أو تقفل فمي عواقب أرضية، فإن الأرض بأفراحها وأحزانها لا أعيرها لحظة من أفكاري، بل أسعى إلى الأبدية وحدها وأنظر إلى النفوس الخالدة حولي وقد اوشكت على أبدية سعادة أو أبدية شقاء! كنت أذهب إلى العالم وأكرز في وقت مناسب متخذا آية موضوعي: «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟»".

كان "جون وسلي" إنسانًا غيورًا، وقد قال مرة: "أعطني مئة شخص يحبون الله بكل قلوبهم، ولا يخافون سوى الخطية، وأنا أهز بهم العالم".

وكان "جيم إليوت" – شهيد إكوادور – شعلة من نار لأجل المسيح يسوع. كان في يوم من الأيام يتأمل هذه العبارة: «الصانع... خدّامه نارًا ملتهبة» (عبرانيين ١: ٧)، فكتب في مذكراته يقول: "هل أنا ملتهب؟! نجّني يا إلهي من أن أكون فتيلة لا تشتعل، امنحني أن أتشبع وأمتلئ بزيت الروح؛ حتى أستطيع أن أكون لهيبًا. ولكن اللهيب وقتي قصير العمر، فهل تستطيعين يا نفسي أن تكوني زائلة قصيرة العمر في غيرتك؟ وبما أن روح ذلك العظيم الذي عاش حياة قصيرة، أكلته خلالها غيرة بيت الله، يسكن فيَّ؛ فلا بدّ أن تجعلني يا رب لهيبًا لك ونارًا متقدة".

وهذا السطر الأخير مقتبس من قصيدة تتميّز بالغيرة والاضطرام كتبتها "آمي كارمايكل":

نجّني يا رب، نجّني أنا عبدك، حرّرني
نجّني من أن ألتمس التهرّب في حياتي
نجّني من الخوف الذي يخشى الطموح
نجّني من الرعب الذي يتهيّب التسلق
نجّني من النفس الناعمة كالحرير
واجعلني جنديًا شجاعًا جديرًا باتباعك أيها القائد
نجّني من اختيار الهناءات الهيّنات
نجّني من الاستسلام والتسليم للضعفات
فليس هذا هو الحصن المطلوب
وليس هذا هو الروح الموهوب
لمن يسير في طريق المصلوب
فمن هذا نجّني يا حمل الله الحبيب
امنحني المحبة التي تقودني في الطريق

امنحني الإيمان الذي لا يخشى الضيق
امنحني الرجاء الذي لا يخشى الفشل
امنحني الحماس الذي يضرم فيّ نار العمل
حتى لا أكون قطعة طين باردة خامدة
بل اجعلني يا رب لهيبًا ونارًا متقدة!

عار الكنيسة، في القرن العشرين، هو أنها سمحت لأتباع المذهب المادي وأنصار البدع المستحدثة أن تكون لهم غيرة أكثر من المسيحيين. ألا نخجل نحن، بصفتنا مسيحيين، عندما نذكر أن لينين وسبعة عشر من أتباعه بدأوا يهاجمون العالم عام ١٩٠٤، حتى بلغ عددهم أربعين ألفًا عام ١٩١٨، وقد استطاعوا أن يملكوا زمام مئة وستين مليونًا، ثم تضاعف عددهم حتى أصبح يضمّ نحو ثلث سكان العالم حتى مطلع التسعينات من القرن الماضي؟!! ومهما كان استياؤنا من كتاباتهم وادّعاءتهم، غير أننا لا نستطيع إلا أن نقدّر حماسهم.

كم من المسيحيين شعروا بالخجل والصغر عندما قرأ "بيلي غراهم" رسالة أرسلها شاب إلى خطيبته يشرح لها سبب إرغامه على فسخ الخطبة – وهذا نص الرسالة:

"نحن نتزايد بنسبة مدهشة جدًا. إننا نلقى حتفنا بالرصاص، ونُشنق ونُسجن، ونطرد من وظائفنا، ونلاقي كل عذاب وتنكيل... إننا نعيش في السجون المظلمة، وفي الفقر المدقع. ونقدم كل مبلغ نربحه، مما يزيد عن حاجاتنا الضرورية للحزب الذي ننتمي اليه. فإننا لا نذهب إلى السينما، ولا إلى الملاهي،

ولا إلى الحفلات، ولا نبني القصور، ولا نقتني السيارات الفخمة، لنوفر كل ما نستطيع أن نوفره لنشر مبدإنا. وحياتنا كلها تتجه إلى هدف واحد، هو نشر مبدإنا. هذا المبدأ هو حياتي، وعملي، وديني، وهوايتي. هو خطيبتي، وزوجتي، وسيدتي، وطعامي، وشرابي. لأجل هذا المبدإ أعمل في النهار، وبه أحلم في الليل، وهو مبدأ يملك كل حواسي، ينمو ولا يضعف بمرور الزمن. لهذا لا أحتفظ بصداقة، ولا علاقة حب، ولا حديث لا علاقة له بهذه القوة الدافعة المسيطرة على حياتي. وتقديري للناس والكتب والأفكار والأعمال، إنما يقاس بمقدار أثرها في خدمة هذا المبدإ ونشره. وإني لعلى استعداد لأن أذهب في سبيل هذا المبدإ إلى السجن بل إلى الإعدام".

فإن كان "أهل العالم" يكرّسون أنفسهم لقضيّتهم إلى هذا الحد، فكم بالأحرى على المسيحيين أن يكرّسوا أنفسهم، بل أن يسكبوها في ولاء تام مملوء بالحب والفرح، لسيّدهم المجيد. حقًا، إذا كان الرب يسوع يستحق شيئًا فهو يستحق كل شيء. أو كما قال "فندلي": "فإن كان الإيمان المسيحي يستحق أن نؤمن به إطلاقًا، فهو يستحق أن نؤمن به بكل شجاعة وبطولة". وقال "جيمس ديني": "إن كان الله حقًا قد أعلن للعالم خلاصه في المسيح، فمن واجب كل مسيحي أن يرفض كل رأي وكل نظرية تنكر هذه الحقيقة أو تحط من قدرها".

إن الله يريد أناسًا يضعون أنفسهم تمامًا تحت إمرة الروح القدس وقيادته. قد يظن الآخرون فيهم أنهم قد امتلأوا سلافة أو سكروا بالخمر، لكن الذين يدركون بشكل صحيح سيعرفون أنهم مسوقون إلى الله بعطش شديد لا يُروى وبحماس متقد لا يُطفأ.

فكل من يريد أن يكون تلميذاً للمسيح عليه أن يملأ قلبه بغيرة متقّدة، وأن يصبو ليتمّم في حياته الوصف الذي ذكره الأسقف "رايل" في كتابه المشهور "المسيحية العملية":

"يكرّس الرجل المتديّن الغيور نفسه لأمر واحد. فلا يكتفي بأن يقال إنه غيور، محب، لا يهادن، دقيق، كليّ التكريس، حار في الروح، بل ليس أمام ناظريه إلا شخص واحد، ثم إنه يهتم بشيء واحد، ويستغرق وقته شيء واحد، وهذا الشيء الواحد هو إرضاء الله؛ فسواء عاش أو مات، سواء صحّ أو مَرِض، وسواء اغتنى أو افتقر، وسواء أرضى الناس أو أغضبهم، وسواء أصابه مدح أو ذم، وسواء أكرم أو أهين، فلا يهم الرجل الغيور شيء من هذا. فإن احترق وفنيَ فهو قانع راض، شاعر أنه مصباح قد صُنع ليحترق، وإن احترق وفني باحتراقه فإنما هو يتمم العمل الذي لأجله أوجده الله. وإن لم يستطع أن يبشر، أو يعمل، أو يعطي، فهو يصرخ وينتحب ويصلي. أجَل، وإن كان فقيرًا معدمًا، أو مريضًا ملازمًا للفراش، فهو، حتى في هذه الحالات، يعرقل دواليب الخطية، وذلك بصلواته المستمرة ضد الخطية. وإذا لم يستطع أن يحارب في الوادي مع يشوع، فسيعمل عمل موسى وهرون وحور على الجبل (خروج١٧: ٩-١٢). وإن كف، هو لا يسكت ولا يدع الرب يسكت، حتى تأتي المعونة من باب آخر، ويتمم العمل بشخص آخر. هذا ما أقصده عندما أتكلم عن الغيرة في الدين".

الإيمان

تتوقف التلمذه على الإيمان الصادق العميق بالله. فمن أراد أن يقوم بأعمال عظيمة جبارة لله، عليه أن يثق فيه ثقة تامة. فإن جميع رجال الله العظام كانوا دائمًا وأبدًا أناسًا ضعفاء قاموا بأعمال عظيمه لله؛ لأنهم اعتمدوا على الله المساند لهم، كما قال "هدسون تايلور":

"يؤسس الإيمان الحقيقي دائمًا على وعد من مواعيد الله، أو على فقرة من الكتاب المقدس. هذا أمر على جانب كبير من الأهمية. فالمؤمن يقرأ أو يسمع وعدًا ما من الله، فيأخذ الروح القدس ذلك الوعد ويطبقه في قلبه وضميره، فيدرك

المسيحي أن الله قد كلمه مباشرة. وبثقة تامة في الذي وعد، وهو أهل لكل ثقة، يحسب المؤمن أن الوعد مؤكد ومضمون، كما لو كان قد تم فعلاً، ولو أنه يبدو مستحيلاً من وجهة النظر الطبيعية".

ولعلّ المؤمن يتأثّر بوصيّة وليس بوعد، ولا فرق بين الحالتين. فإن كان الله يأمر، فهو يُمكّننا من إتمام الأمر. فإذا أمر الربُّ بطرسَ أن يمشي على الماء، فلبطرس أن يتأكد من نوال القوة التي يحتاج إليها لذلك (متى ١٤: ٢٨). وهكذا هي حالتنا؛ فإذا أمرنا الرب بأن نكرز بالإنجيل للخليقة كلها (مرقس١٦: ١٥)، فلنا أن نتأكد من نوال النعمة التي نحتاج إليها لذلك.

عمل الإيمان لا يتمّ في دائرة المُمكن. لا مجد لله في إتمام ما يمكن إتمامه بشريًا، إنّما الإيمان يبدأ حيث تنتهي قوة الإنسان، أو كما يوضح "جورج مولر": "إن دائرة الإيمان تبدأ حيث تضمحل الاحتمالات، وحيث يفشل العيان والعقل".

يقول الإيمان: "أستطيع أن أتمّم كل مستحيل". يعبّر "ماكنتوش" عن ذلك بالقول:

"الإيمان ينزل الله إلى دائرة العمل؛ ولذلك لا يصعب عليه شيء. لا، بل هو يهزأ بالمستحيلات. يرى الإيمان أن الله يحلّ كل مشاكل وكل صعوبة. إنه يضع كل أمر أمام الله. فلا يهم الإيمان في كثير أو قليل إن كان المطلوب ستمائة جنيه أو ستمائة مليون؛ فإنه يعرف أن الله قادر على كل شيء، وهو يسدّ كل أعوازنا. أما عدم الإيمان فيسأل: كيف يمكن هذا؟ وكيف يمكن ذاك؟ فهو مملوء تساؤلات. أما الإيمان فله الجواب الأعظم والأوحد لألف كيف وكيف، وذلك الجواب هو: الله".

كان يستحيل بشريًا، أن ينجب إبراهيم وسارة ابنًا؛ لكن الله وعد، ويستحيل عليه - بالنسبة لإبراهيم - أن يكذب. «فَهُوَ، عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ؛ لِكَيْ يَصِيرَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ، كَمَا قِيلَ: هَكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا فِي الإِيمَانِ؛ لَمْ يَعْتَبِرْ جَسَدَهُ - وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتًا إِذْ كَانَ ابْنَ نَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ - وَلاَ مُمَاتِيَةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ. وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ، بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ، مُعْطِيًا مَجْدًا لِلَّهِ. وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا» (رومية ٤: ١٨-٢١).

إن الإيمان القوي يرى الوعد،
ويتطلع إلى الله وحده، هذا ما يهم
يهزأ بالصعوبات والمستحيلات،
ويصيح قائلاً: "لا بدّ أن يتمّ".

إنه إله تخصّص في إجراء المستحيلات (لوقا ١: ٣٧)؛ لأنه «هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟» (تكوين ١٨: ١٤). كلا! بل إن «غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ» (لوقا ١٨: ٢٧).

يتمسك الإيمان بالوعد ويقول: «كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ» (مرقس ٩: ٢٣)، ويهتف مع بولس قائلاً: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبي ٤: ١٣).

الشك يرى الصعوبات،
أما الإيمان فيرى الطريق،
الشك يحدق في ظلمة الليل،
أما الإيمان فيرى النهار،
والشك يخاف ان يخطو خطوة،
أما الإيمان فيحلّق في الأعالي،

الشك يتساءل: من يصدّق هذا؟

فيجيب الإيمان: "أنا".

ولأن الإيمان يعني خرق الأنظمة الطبيعية وتصديق الله؛ لذلك يبدو غير معقول. ليس من المعقول أن يخرج ابراهيم وهو لا يعلم أين يذهب، ولكنه صدّق وعد الله وأطاع أمره (انظر عبرانيين ١١: ٨). وليس من الذكاء أن يهجم يشوع على أريحا دون أسلحة قتّالة (يشوع ٦: ١-٢٠)، فأهل العالم يضحكون على مثل هذه المغامرات الجنونية، ولكنها أثبتت معقوليّتها وتمّمت مأموريّتها.

والحق يقال إن الإيمان هو عين المعقول. أليس من الصواب أن يثق المخلوق في خالقة؟! هل من الجنون أن نؤمن بمن لا يمكن أن يكذب أو يتخلّى أو يخدع؟! الثقة في الله هي الأمر الوحيد المعقول والمنطقي الذي يمكن أن يفعله الإنسان. فهو ليس قفزة في الظلام، بل إنه يتطلّب أقوى تأكيد وأعظم برهان، فيجد هذا التأكيد وهذا البرهان في كلمة الله التي لا تسقط. وما من أحد وضع ثقته في الله وخاب قطّ، ولن يخيب أحد يفعل ذلك. فالإيمان بالله لا تُحدق به أيّة مخاطرات على الإطلاق.

الإيمان يجد الله، ويوليه مكانه الصحيح، لأنه أهل للثقة التامة دون سواه. أما عدم الإيمان فيهين الله، إذ يتّهمه بالكذب (١يوحنا ٥: ١٠)، ويضع حدودًا للإله القدّوس (مزمور ٧٨: ٤١). والإيمان يضع الإنسان أيضًا في مكانه الصحيح كمعتمِد على الله ومتّضع أمامه، ينحني فوق التراب أمام الرب سيد الجميع.

الإيمان عكس العيان. يذكّرنا بولس الرسول بقوله: «لأَنَّنَا بِالإِيمَانِ نَسْلُكُ لاَ بِالْعَيَانِ» (٢كورنثوس ٥: ٧). والسلوك بالعيان معناه الاعتماد على وسائل منظورة والاستعانة بها، وتدبير احتياطات للمستقبل، واستخدام المهارة البشرية في عمل الضمانات ضد الأخطار غير المنظورة.

أما السلوك بالإيمان فهو عكس ذلك. هو الاعتماد على الله وحده في كل لحظة. هو اتكال مستمرّ على الرب. فالجسد ينفر من الاتكال الكامل على إله غير منظور، ويحاول أن يجد له وسادة يستند إليها ضد الخسائر المحتملة، وفي عدم استقراره يتعرّض للانهيارات العصبية. لكن الإيمان يقفز بخطى ثابتة إلى الأمام إطاعةً لكلمة الله، ويسمو فوق الظروف، واثقًا أن الرب يهتم بالاحتياجات كلها.

ولا بدّ لله أن يجرّب إيمان كل من تلاميذه، فيجد – عاجلاً أم آجلاً – أن موارده البشرية قد بلغت نهايتها وانقطعت تمامًا. وفي ضيقه المرير يحاول أن يلجأ إلى رفقائه وأصدقائه؛ وأما أن يثق بالرب حقًا، فيتطلّع إلى الرب وحده. يكتب "ماكنتوش":

> إني أهين الرب وأخدعه إذا أعلنت احتياجاتي لأصدقائي، مباشرة أو غير مباشرة، منتظرًا معونتهم. فكأني أصرح أن الله قد تركني وخيب آمالي، فأكون بذلك قد حدت عن الينبوع الحي لألتجيء إلى آبار مشققة، ولأضع نفسي بين يدي المخلوق دون الخالق؛ فأخسر بركات الرب وعطاياه، وأسلبه مجده وعظمته.

يجدر بكل تلميذ أن يطلب زيادة إيمانه (لوقا ١٧: ٥). لقد وضع ثقته بالفعل في المسيح للخلاص، وعليه الآن أن يسعى إلى توسيع الدائرة لتشمل

سائر نواحي الحياة وإخضاعها لسلطانه وأمره. وفيما هو يواجه المرض، والتجارب، والمآسي والأحزان، يتسنّى له أن يعرف الله بطريقة جديدة واختبار أعمق، وبهذا يتقوّى إيمانه. وحينئذ يتم فيه القول «لِنَعْرِفْ فَلْنَتَتَبَّعْ، لِنَعْرِفَ الرَّبَّ» (هوشع ٦: ٣)، وكلما زادت معرفته في قوة الله وقدرته، تاق إلى مزيد من الثقة فيه للتغلّب على أمور مستعصية.

وحيث أن الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله؛ فإن أقصى ما يتمنّاه التلميذ ينبغي أن يكون إشباع نفسه بالكتاب المقدس، فيقرأه ويدرسه ويحفظه، ويلهج فيه نهارًا وليلاً؛ فهو خارطته ودليله، ومرشده وعزاؤه، ومصباحه ونوره.

وفي حياة الإيمان يوجد دائمًا مجال للتقدم. فعندما ندرس ما حقّقه الإيمان، ندرك أنّنا أطفال نلهو على شاطىء محيط لا نهاية له ولا حدود.

وقد ذكرت بعض أعمال الإيمان الجبّارة في عبرانيين ١١، ووصلت إلى الذروة في الأعداد ٣٢-٤٠:

«وَمَاذَا أَقُولُ أَيْضًا؟ لأَنَّهُ يُعْوِزُنِي الْوَقْتُ إِنْ أَخْبَرْتُ عَنْ: جِدْعُونَ، وَبَارَاقَ، وَشَمْشُونَ، وَيَفْتَاحَ، وَدَاوُدَ، وَصَمُوئِيلَ، وَالأَنْبِيَاءِ، الَّذِينَ بِالإِيمَانِ: قَهَرُوا مَمَالِكَ، صَنَعُوا بِرًّا، نَالُوا مَوَاعِيدَ، سَدُّوا أَفْوَاهَ أُسُودٍ، أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ، نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، تَقَوَّوُا مِنْ ضُعْفٍ، صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ، هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ، أَخَذَتْ نِسَاءٌ أَمْوَاتَهُنَّ بِقِيَامَةٍ. وَآخَرُونَ عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ. وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا فِي

هُزْءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضًا وَحَبْسٍ. رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ. فَهَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ بِالإِيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا الْمَوْعِدَ، إِذْ سَبَقَ اللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئًا أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا بِدُونِنَا».

وفي الختام، نقول إننا ذكرنا، في ما سبق، أن العالم يعتبر تلميذ المسيح الذي يسلك بالإيمان حالمًا أو متعصبًا، بل قد يعتبره المسيحيون الآخرون كذلك. ومن المستحسن أن نقتبس كلمة "ماكنتوش" في هذا الصدد:

"إن الإيمان الذي يمكّن الإنسان من السير مع الله يمكنه أيضًا من تقييم أفكار الناس وتقديرها".

٧

الصلاة

الكتاب الوحيد الكافي الذي عالج موضوع الصلاة، في أي عصر من العصور، هو الكتاب المقدس. أما كل ما كُتب عنها في غير الكتاب المقدس فيشعِرُنا بأن هناك أعماقًا لا يمكن الوصول إليها، وأعالي في السبيل لبلوغها. ولا نريد في هذا الكتيّب الصغير أن نحسِّن أو نزيد على ما كتبه الآخرون، بل كل ما نستطيعه هو أن نلخّص بعض المبادىء الهامة للصلاة، ولا سيّما تلك المبادىء التي تتصل بالتلمذة الحقيقية.

- **افضل الصلوات هي التي تصدر عن حاجة داخلية قوية ملحة.** وكم اختبرنا جميعًا صدق هذا في حياتنا. فعندما تكون حياتنا هادئة ساكنة، تكون صلاتنا فاترة وضعيفة. ولكن عندما نجوز بأزمة، أو نُواجه خطرًا، أو أن نقاسي مرضًا بالغ الخطورة، أو نجتاز في حزن مرير؛ تصبح صلواتنا حارة وحيويه نشيطة. قال أحدهم: "مَن أراد أن يدخل سهمه في كبد السماء؛ عليه أن يطلقه من قوس منحنٍ تمام الإنحناء". وكذلك، فالقلب المنحني والمنكسر، والشعور بالضعف والحاجة، يغمران الصلوات المؤثِّرة الصادقة التي تصل إلى أذن الله. ونحن، مع الأسف، ننفق أفضل أيام حياتنا في الجهاد لتأمين المستقبل والحصول على جميع ضروريات الحياة وكمالياتها. وبالوسائل المتعدّده البشرية نحصل على ثروة، ونكدّس الأموال، حتى لا نشعر بحاجة لشيء. ثم نُسائل أنفسنا بعد ذلك: "لمَ يا ترُى صلواتنا ضعيفة وفاترة؟ ولماذا لا تنزل نار من السماء؟". لو كنّا نسلك حقًا بالإيمان لا بالعيان، لتفجّرَت صلواتنا وتأثّرت بها حياتنا.

- من شروط الصلاة الناجحة أن «نَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ» (عبرانيين ١٠: ٢٢). وهذا يرينا وجوب **الإخلاص والصدق امام الرب.** فلنطرد الرياء، ولا نسأل الله أبدًا شيئًا في مقدورنا نحن أن نفعله؛ مثلاً: لا نسأل الله أن يدبّر مبلغًا معيّنًا من المال لمشروع مسيحي إن كان عندنا نحن فائض من المال يمكن استخدامه في هذا المشروع. فإن الله لا يُخدع ولا يُؤخذ على حين غرّة. وهو لا يجيب صلاة سبق أن أجابها، ونحن رفضنا ذلك الجواب. ولا يجوز أن نصلّي إلى الله ليرسل عمّالاً لأعمال نأبى نحن القيام بها. كم من الصلوات رُفعت طالبة اهتداء البعيدين،

غير المسيحيين من بوذيين وهندوسيين ووثنيين وغيرهم! ولو أن جميع أولئك المصلّين انطلقوا، بإرشاد الرب، إلى هؤلاء الناس لاستخدمهم المسيح خير استخدام، ولتغيَّر تاريخ الإرساليات المسيحية، وأسفر عن أطيب النتائج المشجعة.

✍ **لنصلي ببساطة وإيمان اكيد دون ريب.** ولا نشغل أنفسنا بالمشكلات اللاهوتية المتعلقة بالصلاة، كي لا تتبلد حواسنا. ولندع علماء اللاهوت يحلّون بلاهوتهم المشاكل اللاهوتية المتعلقة بالصلاة، أما نحن، فكمؤمنين بسطاء، علينا أن نقصد أبواب السماء ونقرَعُها بثقة البنين. قال "اغسطينوس": "يغتصب البسطاء السماء ببساطتهم، أما نحن؛ فبكل علمنا، لا نسمو فوق اللحم والدم".

لا أعلم كيف ستكون الطريقة
لكن استجابة الله لصلاتي حقيقة
لا أعلن متى صلاتي الحارة الدؤوبة
ستسمع كلمته لي مستجيبة
أعلم أنها ستأتي آجلا أو عاجلا
لذا أصلي وأنتظر دقيقة فدقيقة
لا أعلم إن كانت البركة المقصودة
ستأتي بهذه أو بتلك الطريقة
أترك صلاتي معه وحده
وأخضع مشيئتي لأفضل مشيئة
لولا هنسون

- **إن اردت ان تحصل على قوة في الصلاة فلا تحجز شيئا ولا تمنع شيئا،** بل سلّم الكل تمام التسليم للمسيح، كُن له بجملتك. اترك كل شيء واتبع المخلّص. الصلاة المشفوعة بالتكريس التام، المعترفة بسيادة المسيح ومُلكه الشامل، هي الصلاة التي يستجيبها الله.

- **يقدّر الله الصلاة التي تكلفنا شيئا.** فالّذين يستيقظون باكرًا، ينعمون بشركة مع ذلك الذي في الصبح باكرًا جدًا، قام ومضى إلى موضع خلاء، واختلى مع أبيه منتظرًا توجيهاته لليوم الذي أمامه. وكذلك الذين، بملء إرادتهم، يصرفون الليل كله، في الصلاة؛ ينعمون بقوة الله التي لا يمكن إنكارها. أما الصلاة التي لا تكلّف شيئًا، لا تساوي شيئًا لأنّها "منتوجات" مسيحية رخيصة.

كثيرًا ما يربط العهد الجديد بين الصلاة والصوم. فالامتناع عن الطعام يمكن أن يكون مساعدًا كبيرًا في الرياضيات والتدريبات الروحية. وهو من الناحية البشرية يساعد على الصفاء والتركيز وحدّة الذهن. ومن الناحية الإلهية يبدو أن الرب يُسرّ خصّيصًا بالصلاة التي نفضّلها على الطعام الضروري.

- **تجنّب الصلاة الاتانية.** قال يعقوب في رسالته: «تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ» (يعقوب ٤: ٣). إن الثقل الرئيسي في صلواتنا يجب أن يكون الاهتمام بالرب. يجب ان نصلي أولاً: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ». ثمّ نصلّي بعد ذلك قائلين: «خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ» (لوقا ١١: ٢، ٣).

✍ **يجب ان نكرم الله بأن نطلب منه طلبات عظيمة**، لأنه إله عظيم. ليكن لنا إيمان ينتظر أشياء عظيمة من الله.

أنت تأتي إلى الملك الكريم
فأحضر معك طلبات عظيمة
فكل طلباتك لا تُعَدُّ الكثير
أمام قدرة ومحبة كريمة
جون نيوتن

فكم أحزنّا الرب بطلباتنا الصغيرة التافهة. كم قنعنا بانتصارات ضئيلة، ورضينا بنتائج حقيرة، وأشواق ضعيفة، لا تمُتّ إلى الأعالي بصِلَةٍ، لذلك لم يرَ الذين حولنا أن إلهنا إلهٌ عظيم، لأننا لم نطبّق تعاليمه وإرادته في حياتنا كما يجب، ولذلك عجزنا عن أن نمجّده أمام الذين لا يعرفونه، فلم نُثِرهُم للتساؤل عن سرّ القوة التي تعمل فينا، وبذلك لم يمجّدوا الله فينا.

✍ **علينا ان نصلي حسب مشيئة الله**. عندئذ نثق أنّه يسمعنا ويجيبنا «وَهَذِهِ هِيَ الثِّقَةُ الَّتِي لَنَا عِنْدَهُ: أَنَّهُ إِنْ طَلَبْنَا شَيْئًا حَسَبَ مَشِيئَتِهِ، يَسْمَعُ لَنَا. وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبْنَا يَسْمَعُ لَنَا، نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا الطِّلْبَاتِ الَّتِي طَلَبْنَاهَا مِنْهُ» (ايوحنا ٥ : ١٤، ١٥). والصلاة باسم الرب يسوع، معناها أن نصلّي حسب إرادته. فعندما نصلّي بأسمه فكأنّه هو يصلّي ويقدّم الطلبة إلى الله أبيه «وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي، فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ، لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ» (يوحنا ١٤ : ١٣، ١٤). «وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لاَ

تَسْأَلُونَنِي شَيْئًا. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ. إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئًا بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً» (يوحنا ١٦: ٢٣، ٢٤). «وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ؛ لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسَطِهِمْ» (متى ١٨: ١٩، ٢٠).

"إن كنا نطلب باسمه، ونصلي باسمه، فهذا يعني أنه يمسك بأيدينا ويجثو إلى جانبنا، فتجري إرادته فينا ويرشدنا إلى ماذا نطلب. هذا معناه أن نصلي باسمه، فاسمه كناية عن شخصه وطبيعته، وبالتالي، فالصلاة باسم المسيح معناها أننا نصلي حسب إرادته المباركة. هل يمكن أن أطلب شرًا باسم ابن الله؟ إذًا، صلاتي يجب أن تكون تعبيرًا صادقًا عن طبيعته. هل أستطيع أن أفعل ذلك في الصلاة؟ يجب أن تظهر في صلواتنا قيادة الروح القدس، وفكر ورغبات المسيح فينا ولأجلنا. ليت الرب يعلمنا أن نصلي باسمه وحسب مشيئته، وليس فقط أن نختم الصلاة بهذه العبارة: نطلب هذا باسم المسيح ربنا المبارك؛ فهذا لا يكفي، فإن الصلاة كلها يجب أن تتشبع وتتشرب باسم المسيح المبارك، وأن تكون حسب ما تقتضيه طبيعة هذا الاسم." (صموئيل رودوث)

إذا أردنا أن ننال الإجابة عن صلواتنا، فعلينا أن **نتحاسب مع الله يوميًا بعد يوم**، أي يجب أن نعترف بخطايانا ونتركها حالما نشعر أنها دَخَلَت إلى حياتنا «إِنْ رَاعَيْتُ إِثْمًا فِي قَلْبِي؛ لاَ يَسْتَمِعُ لِيَ الرَّبُّ» (مزمور ٦٦: ١٨). ويجب أن نثبُت في المسيح «إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ؛

تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ» (يوحنا ١٥: ٧). فالشخص الذي يثبت في المسيح، يمكث بالقرب منه ويمتلىء من معرفة إرادته، يستطيع أن يصلّي بذهنه واثقًا من الجواب. والمكوث بقرب الرب يدعونا إلى إطاعة وصاياه طاعة عمياء، بل يأمرنا بها «وَمَهْمَا سَأَلْنَا نَنَالُ مِنْهُ، لأَنَّنَا نَحْفَظُ وَصَايَاهُ، وَنَعْمَلُ الأَعْمَالَ الْمَرْضِيَّةَ أَمَامَهُ» (١يوحنا ٣: ٢٢). وإن أردنا أن تُسمَع صلواتنا وتُستجاب؛ فعلينا أن نضع أنفسنا بين يديه لتكون في الحالة المرضية أمامه.

- ويجب ألا نكتفي بالصلاة في أوقات معيّنة محدوده أثناء اليوم، بل علينا أن ننمّي في أنفسنا **روح الصلاة**، فننظر إلى الرب بلا انقطاع ونحن نمشي في الشارع، أو نسوق السيارة، أو نشتغل في المكتب أو في البيت. وقد قدّم لنا نحميا مثالاً عن هذه الصلاة الدائمة التلقائية (نحميا ٢: ٤) فما أحسن أن نسكن في ستر العلي بدلاً من أن تكون لنا زيارات متقطعة إليه!

- أخيرًا، يجب أن تكون صلاتنا **صلاة محددة**، وإلا فكيف ننتظر الإجابة إن لم يكن الطلب محدَّدًا ومعيّنًا.

إن الصلاة امتياز عجيب؛ إذ بها نستطيع - كما قال "هدسون تايلور" - أن نحرّك الإنسان بواسطة الله.

"ما أعظم القوة التي تضعها الصلاة بين أيدينا. بواسطتها نقوم بمعجزات عظيمة. فإننا نستطيع أن نحمل نور الشمس إلى الأماكن المظلمة الباردة، وأن نضيء مصباح الرجاء في سجن اليأس، وأن نحل سلاسل السجناء وقيودهم، وأن نحمل

لمحات وومضات وخواطر عن بيتنا السماوي إلى من يجهلونه، وأن ننعش الفاترين الضعفاء بنسمات سماوية منعشة ولو كانوا يعملون عبر البحار. هذه هي بعض معجزات الصلاة". (ج. ﻫ. جوبت)

وشهد أيضًا كاتب يدعى "ونهام" فقال:

"إن الكرازة موهبة نادرة، لكن الصلاة أندر. الكرازة كالسيف نستخدمه في محيطنا مع الذين هم من حولنا، ولكن لا يمكنه أن يصل إلى البعيدين. أما الصلاة فمثل بندقية بعيدة المدى، نصل بها إلى الأصقاع البعيدة، كما أنها تصيب الأماكن القريبة".

فالصلاة، يا إلهي، تغيّر شعور نفسي وتفكير ذهني.
إن ساعة في حضرتك تزيل حملي الثقيل وهمّي الماضي.
أجثو أمامك ضعيفًا حقيرًا، وأقف جبّارًا قويًا،
لِمَ أثقّل نفسي بالهموم وأحنِها بالأنات
وأنت بقربي تشدّد وتعين يا إله البركات؟
امنحني روح الصلاة فأذلّل كل العقبات
وأنتصرُ على الهموم والكروب والسقطات!
فيك تجد نفسي القوة والسرور والبهجة
أنا لك، ربّي، وبين يديك.

ريتشارد ترنش

٨

الحرب

من النادر أن يقرأ أحد العهد الجديد، ولو بصورة عَرَضِـيّة، دون أن يدرك أن برنامج المسيح على الارض يوصف بأنه حرب ونضال. فـإن المسيحية الحقيقية أبعد ما تكون عن المسيحية العصرية التي هـي أشـبه بتسليات "أرغن المتسولين". وهي في حقيقتها تختلـف كـل الاخـتلاف عن عيشة الترف وحياة اللذة التي تنتشر بـين النـاس اليـوم. فإنهـا، بالأحرى، جهاد حتى الموت، ونضال لا ينقطـع ضـد قـوات الجحـيم. ولا يستحق تلميذ أن يكون "ملح الأرض" ما لم يـدرك أن المعركـة قـد

نشبت وأنه لا يمكن إخمادها.

ويتحتّم أن تكون هناك وحدة في الحرب. فلا وقت للمنازعات والمماحكات الصغيرة والغيرة الحزبية، والولاء المنقسم لأن «بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لا يَثْبُت» (متى١٢: ٢٥). من أجل هذا وَجَبَ على جنود المسيح أن يتّحدوا، والتواضع هو السبيل إلى الوحدة. هذا ما نتعلّمه من الإصحاح الثاني من رسالة فيلبي. فمن المستحيل أن يكون هناك نزاع مع إنسان متواضع حقًا. ولا بدّ من إثنين حتى يقوم نزاع. «اَلْخِصَامُ إِنَّمَا يَصِيرُ بِالْكِبْرِيَاءِ» (أمثال ١٣: ١٠). وحيثما انتفت الكبرياء انتفي النزاع.

تتطلّب حياة الحرب الزُهد والتقشف والتضحية. وفي الحرب لا بد من نظام ثابت لذخر المؤونة. على المسيحيين الحقيقيين أن يدركوا أننا في حرب، لذا علينا أن نضحّي بكثير من نفقاتنا، فنستخدم مواردنا في جهادنا وحربنا.

قليلون استطاعوا أن يروا هذه الحقيقة، بجلاء كما رآها تلميذ للمسيح من الشباب، اسمه "ر.م"، في ١٩٦٠. كان هذا الشاب رئيس الصف الاول في مدرسة مسيحية. وفي أثناء رئاسته هالتْهُ النفقات التي اعتاد إنفاقها على فرق الصف، وعلى الهدايا التي تُمنح للصف في بعض المناسبات. ولكن هذا الشاب إذ رأى أن هذه النفقات لا تؤول إلى تقدم الإنجيل، استقال من وظيفته كرئيس للصف، ووزع على زملائه في يوم استقالته خطابًا هذا نصّه:

أيها الزملاء الأعزاء،

عندما بحثت في النفقات والهدايا المعتاد توزيعها على فرق الصف أمام المجلس، رأيت لزامًا عليّ كرئيس للصف أن أتخذ موقفًا مسيحيًا إزاء هذه الأمور. أعتقد أننا نجد فرحًا أعظم لو بذلنا أنفسنا، وأموالنا للمسيح وللآخرين. فنجد بذلك صدق قوله: «مَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا».

إن إنفاق المال والوقت على هذه الأشياء لا تنتج منها نتائج مباشرة لغير المؤمنين، فنحن عن طريقها لا نشهد ولا نبني كنيسة الله، وهذا يبدو مناقضاً لمبدإنا، لا سيما والحقائق المؤلمة تؤكد أن ٧٠٠٠ شخص يموتون يوميًا من الجوع، ونحو نصف سكان العالم لم يسمعوا قطّ عن رجاء الإنسان الوحيد. أليسَ من الأفضل أن نستخدم المال في سبيل تمجيد الله ونشر الإنجيل بين سكان العالم الذين لم يسمعوا قطّ عن يسوع المسيح، وبين البيوت الكثيرة في محيطنا، بدلاً أن ننفقه على حفلاتنا وملذاتنا التي نستنفد وقتنا ولا طائل منها؟

وبما أنني أعلم يقينًا أن هنالك حاجات ملحّة وفرصًا كثيرة سانحة يمكن أن تنفق فيها الأموال لنشر ملكوت الرب يسوع ومجده عن طريق خدمة الآخرين في بلادنا وخارجها، فمن المستحيل عليّ أن أسمح - بصفتي رئيس الصف - بأن ننفق أموال الصف على أنفسنا دون مبرّر.

فلو كنت أحد هؤلاء المحتاجين المعوزين، لرجوت كل الذين بإمكانهم مساعدتي أن يبذلوا ما في طاقتهم لسدّ أعوازي وإفساح المجال لي للتمتع بإنجيل المسيح وخلاصه. «وكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ هكَذَا» (لوقا ٦: ٣١). «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟» (ايوحنا ٣: ١٧). لذلك فإني بروح المحبة والصلاة، طالبًا أن تروا أن الرب يسوع أعطى كل

ما له (٢كورنثوس ٨: ٩)، أتقدم باستقالتي لكم كرئيس للصف ٦٣.

زميلكم بالرب يسوع ر.م.

الألم ملازم للحرب. فإذا كان الشباب اليوم يريدون أن يبذلوا حياتهم عن طيب خاطر في سبيل وطنهم، فكم بالحري يجب على المسيحيين أن يكونوا أكثر استعدادًا لبذل حياتهم عن طيب خاطر لأجل المسيح ولأجل الإنجيل! لأن الإيمان الذي لا يكلّف شيئًا لا يساوي شيئًا. وإن كنّا نهتم بالرب يسوع، فيجب أن يكون هو الكل في الكل بالنسبة لنا. فلا يؤخرنا عن خدمته خوف من خطر، ولا محبة ذاتية ولا عناية جسدية.

لما أراد بولس الرسول أن يدافع عن رسالته ضد المنتقدين، لم يُشِر إلى مركزه العائلي، ولا إلى ثقافته، ولا إلى امتيازاته العالمية؛ بل أشار بالحري إلى آلامه لأجل الرب يسوع المسيح:

«أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ: فَأَنَا أَفْضَلُ: فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ. فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ. فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ. فِي الْمِيتَاتِ مِرَارًا كَثِيرَةً. مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ. مَرَّةً رُجِمْتُ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ. لَيْلاً وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ. بِأَسْفَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً. بِأَخْطَارِ سُيُولٍ. بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ. بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي. بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ. بِأَخْطَارٍ

مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ. فِي أَسْهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً. فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ: التَّرَاكُمُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ. الاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ» (٢كورنثوس ١١: ٢٣-٢٨).

وفي مناشدته النبيلة وتحدّيه السامي لإبنه تيموثاوس حضّه قائلاً: «فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ». (٢تيموثاوس ٢: ٣).

الطاعة العمياء هي إحدى متطلّبات الحرب. فالجندى يطيع أوامر قائده دون استفهام أو تأجيل. أفلا يجدر بالرب يسوع أن يطلبها في أتباعه. ألا يجدر بخالق العالم ومخلّصه أن ينتظر طاعة عمياء، من أتباعه؛ فيذهبون أنّى يرسلهم دون تأجيل أو تفضيل؟

وتتطلّب الحرب مهارة فى استخدام الأسلحة. ومن أسلحة المسيحي هي الصلاة وكلمة الله. فعليه أن يواظب على الصلاة الحارة بلجاجة؛ لأنها الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تهدم حصون العدو. وعليه أيضًا أن يكون ماهرًا بارعًا في استخدام سيف الروح، الذي هو كلمة الله. فالعدو يستخدم كل حيلة ممكنة ليسقط ذلك السيف من يد الجندي، فيلقي عليه ظلاً من الشكوك في وحي الكتاب المقدس، ويشير إليه بما هنالك من مناقضات مزعومة، ويغرق بحجج مناقضة من العلم والفلسفة والتقاليد البشرية ليصدّه عن الإيمان. لكن على جندي المسيح أن يقف راسخًا في أساسه، شاهرًا سلاحه القاطع ليستخدمه في وقت مناسب، أو غير مناسب.

تبدو أسلحة المسيحي الحربية ضعيفة وغير لائقة في نظر أهل العالم. فالخطة التي استخدمها يشوع في الانتصار على أريحا تبدو غبيّة في نظر القادة العسكريين اليوم. وجيش جدعون الصغير يثير كثيرًا من الهزء والسخرية. وماذا نقول عن مقلاع داود، ومنساس البقر في يد شمجر، وجيش الله الصغير ممن يحسبهم أهل العالم من الأغبياء على مر العصور؟ الذهن الروحي يعرف أن الله لا تهمّه ضخامة المدفعيات، لكنه بالحري يحب أن يستخدم الضعفاء والفقراء والمزدرى بهم في هذا العالم، ويمجّد نفسه بواستطهم.

والحرب تتطلّب أيضًا معرفة العدو واستراتيّجيته. وهكذا هي حالة الحرب المسيحية: «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أفسس ٦: ١٢). ونحن نعلم أنّ «الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيمًا إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ. الَّذِينَ نِهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ» (٢كورنثوس ١١: ١٤، ١٥). ويعرف الجندي المسيحي المدرّب أن أمرّ مقاومة له لن تأتي من السكّير، أو اللص، أو الزانية، بل ممن يدعون أنهم خدّام الدين. أما سَمَّرَ قادة الدين مسيح الله على الصليب؟! أما اضطهدوا الكنيسة الأولى؟! أما لاقى بولس الرسول أشدّ الهجمات الوحشية على أيدي الذين اعترفوا بأنهم خدّام الله؟! هذا ما حدث على مرّ السنين، فإن خدّام الشيطان يغيّرون شكلهم إلى خدّام للبرّ، يتحدّثون بلغة الدين، يلبسون ثياب الدين، يعلّمون بتقوى وورع، لكن قلوبهم ملأى بغضًا للمسيح وللإنجيل.

والحرب تتطلّب تركيز لا تشتيت فيه، لأنه «لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَجَنَّدُ يَرْتَبِكُ بِأَعْمَالِ الْحَيَاةِ لِكَيْ يُرْضِيَ مَنْ جَنَّدَهُ» (٢تيموثاوس ٢: ٤). وكذلك تلميذ المسيح لا يتساهل في أيّ شيء يحول بينه وبين التكريس التام للرب يسوع المسيح. فهو يصمد جامدًا دون أن يهين أحدًا، يقف راسخًا ثابتًا ولكن ضمن حدود اللياقة والأدب. له هدف واحد، يستنفد في سبيله كل حماسه وقواه، ويضحّي لأجله بكل غالٍ وثمين.

أما الشجاعة فضرورية جدًا لمواجهة الخطر. «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ، لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ. وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا. فَاثْبُتُوا...» (افسس ٦: ١٣، ١٤). ويذكر أن الجندي المسيحي في أفسس ٦: ١٣-١٨ لا يرتدي درعًا على ظهره، لأنه لا مكان للتقهقر والانسحاب. ولماذا الانسحاب؟! ما دام «وَلَكِنَّنَا فِي هَذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (رومية ٨: ٣٧)، فلا يقدر أن يتغلّب علينا أحد، أو يهزمنا أحد؛ لأن الله معنا. وإن كان الظفر مؤكّدًا لنا قبل أن نبدأ المعركة، فكيف نفكّر في التقهقر والانسحاب؟ بل نتقدم إلى المعركة ونحن نرنم:

حربنا العظمى تشب ... كاللظى الشديد
إنّما الفادي المحب ... قائدٌ مجيد

نعمة الرب العظيمة ... ضعفنا تعين
كيف نخشى من هزيمة ... نصرنا مبين

٩

السيادة على العالم

لقد دعانا الله للسيادة على العالم. فقد قصد أن نولد رجـالاً ونمـوت أبطالاً. ولم يقصد قط أن نقضي حياتنا سعيًا وراء مطامع دنيئة.

عندما خلق الله الإنسان، فقد سلّطه علـى الأرض، وتوّجـه بالمجـد والكرامة وأخضع كل شيء تحت قدميه، ووضع هذا الانـسان، المتـوّج بالمجد والسلطان، قليلاً عن الملائكة.

ولما أخطأ آدم، فَقَدَ الإنسان كثيرًا من السلطان الذي كان قـد أُعطـي له بالقصد الإلهي، فتضعضع سلطانه وخمدت سيادته.

والإنجيل يعلّمنا كيف نستعيد سيادتنا التي لا تقوم على إخضاع الكلاب الجامحة، أو الحيّات السامة، بل بإعلام الأمم وعبدة الأوثان بما صار لنا، وإخبار أقاصي الأرض بما امتلكناه في المسيح. يقول ج. هـ. جويت: "لا يسعنا أن نستعمر العالم بملكوت الرب وسلطانه إلا بالحياة الطاهرة والأخلاق المسيحية السامية المشابهة لحياته وأخلاقه".

لم يختبر آدم كرامة هذه الدعوة المسيحية، فنحن كمؤمنين شركاء مع الله في نشر رسالة الفداء للعالم. قال دينسدال يونج: "هذه هي مهمتنا، أن نصل إلى الناس باسم الرب ليتوجوه سيدًا على الحياة، للسيادة على النفس، للخدمة لأجل الملكوت".

إن مأساة حياة الكثيرين اليوم ترجع إلى سوء تقدير هذه الدعوة العليا. اقتنعنا بإنفاق سنيّ حياتنا في أشياء ثانوية وأمور صغيرة! اكتفينا بالزحف بدلاً من التحليق! نعيش عبيدًا بدلاً من أن نعيش ملوكًا! وما أقل الذين يطمحون إلى توسيع ملكوت المسيح! كان سبرجن يختلف عن غيره في هذا الأمر؛ فكتب لابنه رسالة مؤثّرة يقول فيها:

"إذا اراد الله لك أن تكون مرسلا فلا أريد لك أن تموت مليونيرًا. وإن اهلك الله لأن تكون مرسلا، فلا أريد ان تهبط لتكون ملكًا. ما قيمة الملوك والرؤساء، والتيجان، لو اجتمعت معًا؛ بالنظر إلى شرف ربح النفوس للمسيح وكرامة البناء لأجل اسمه، ليس على أساس وضعه آخر، بل بالكرازة بإنجيل المسيح في أماكن بعيدة لم يصل إليها أحد من قبل؟".

شخصا استثنائيًا آخر هو "جون موط" المُرسل الشهير، الذي لما طلب منه الرئيس كوليدج أن يكون سفيرًا إلى اليابان، أجاب: "يا سيدي الرئيس، مذ دعاني الله لان أكون سفيرًا له، صارت أذناي صماء عن كل دعوة أخرى".

ويحدّثنا "بيلي غراهم" عن مثل ثالث: لما كانت شركة (ستاندارد أويل) تبحث عن شخص يمثّلها في الشرق الأقصى، وقع اختيارهم على مرسل؛ فعرضوا عليه عشرة آلاف دولار شعريًا فرفض، ثم عرضوا عليه خمسة وعشرين ألفًا فرفض، ثم عرضوا عليه خمسين ألفًا فرفض. فسألوه: لماذا؟ فأجاب: "إن الراتب الذي تقدمونه عظيم، لكن العمل صغير جدًا. فقد دعاني الله إلى عمل أعظم وهو نشر ملكوته".

إن دعوتنا المسيحية هي أعظم دعوة في الوجود، فإذا أدركنا ذلك سنرقى إلى مستوى جديد رفيع نبيل. يومها لن يتفاخر واحد منا بدعوته لأن يكون مهندسًا، أو عالم فيزياء، أو طبيب أسنان؛ بل سيفخر بأنه مدعوّ لأن يكون مرسلاً. وأما هذه الأشياء الأخرى فهي مجرد سبل للعيش لا تعني الكثير. عند ذلك سنرى أنفسنا مدعوين لأن نكرز بالإنجيل للخليقة كلها، وأن نتلمذ جميع الأمم، وأن نبشّر العالم بأسره.

أسمعك تقول: "مهمة هائلة"! هائلة- نعم؛ لكنها ليست مستحيلة. لكنها تدعو كل مؤمن إلى اتخاذ إجراءات فورية من كل القلب.

فكِّر، أولاً وقبل كل شيء، في سكان العالم، هناك منهم أكثر من ستة مليارات نسمة على وجه الأرض اليوم، يتزايدون بمعدل مذهل! قديمًا، استغرق الأمر ١٨ قرنًا من أيام المسيح، ليصل التعداد إلى

المليار، وبعد قرن، ارتفع الى مليارين، والآن يزيدون كل ثلاثة أيام بعدد سكان مدينة كبيرة مثل سان فرانسيسكو! أحد النتائج العددية لهذا الانفجار البشري، هو أنه يعيش على وجه الأرض الآن، ضعف العدد الذي كان يعيش عام ١٩٦٠! والأمر الآخر هو أن الذين يعيشون الآن يمثلون عُشر كل الناس الذين عاشوا منذ الخليقة إلى الآن!

وبينما نفكّر في الحاجة المُلِّحة للعالم أن يسمع رسالة الإنجيل، ينبغي أن نضع في اعتبارنا أنه في حين أن متوسط العمر المتوقع في البلدان المتقدمة فوق ٧٠ عامًا، فإنه في باقي العالم هو أقل من ٤٠ سنة! إن النفوس تنزلق إلى الأبدية، ولا مجال لإضاعة الوقت.

والكتاب المقدس هو لبّ البشارة المقدمة للعالم «الإيمان بِالْخَبَرِ وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ الله» (رومية١٠: ١٧)، على أنه من أكثر من ٦٥٠٠ لغة ولهجة مستعملة عالميًا، يتواجد الكتاب المقدس فقط في ٢٥٠٠ منها، واللغة المستخدمة في العديد من ترجمات الإنجيل وأجزاء الكتاب المقدس قد عفا عليها الزمن، فصارت مثل لغة أجنبية لشعبها. أضف إلى هذا الحقيقة المحزنة أن ١٦% من السكان أُمّيون؛ لا يستطيعون قراءة الكتاب المقدس لو وُجد! إذًا فعلى جميع القادرين ماديًا من المؤمنين أن يدعموا نشر الكتاب المقدس لتتحقق الدعوة.

ومع أن ثلث العالم يصرِّح بأنه مسيحي، فإن الكثيرين منهم ليسوا سوى معترفين بالاسم فقط. ولا أحد يعرف العدد الدقيق للمؤمنين. ومع ذلك، فقد غامر واحد بالتقدير أنه إذا شارك كل مسيحي حقيقي

٤٠ شخصًا بالإنجيل، فإن البشارة ستصل العالم كله!

إن كل البشر، على اختلاف توجّهاتهم، لهم غلاوة على الرب يسوع، الذي مات عن كل واحد، لذا ينبغي أن يسمعوا الإنجيل. إن الحاجة مذهلة!

أما كيف يصل الإنجيل إلى العالم كله في عصرنا؟ الإجابة: **لا** يعوزنا لذلك إلا رجال ونساء يحبّون الله من كل قلبهم، وأقرباءهم كأنفسهم. إن التكريس النابع من المحبة الحية، هو فقط ما يمكنه أن يحقق هذا الغرض. فإن من تحصرهم محبة المسيح لا يستعظمون أية تضحية مهما كانت في سبيل خدمته. وهم يعملون من فرط محبتهم للمسيح ما لا يمكن أن يقدّموه ولا أن يفعلوه في سبيل أي ربح دنيوي. حتى نفوسهم لا ثمن لها في نظرهم، يُنفِقون ويُنفَقون، في سبيل نشر الرسالة كي لا يهلك أناس من جهلهم للإنجيل.

أيها الرب المصلوب، امنحني قلبًا مثل قلبك،
وعلّمني أن أحب نفوس الناس الهالكة،
واحفظ قلبي في شركة دائمة معك،
وامنحني المحبه كمحبة الجالجثة النقية
حتى آتي بالهالكين اليك

جيمس سنيوارت

لا يمكن أن ينجح المرسلون ما لم تكن المحبة دافعهم الوحيد لأن كل شيء غيرها لا يساوي شيئًا، بل تصبح الخدمة إذ ذاك «نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ

صَنْجًا يَرِنُّ». وعلى العكس، إذا كانت المحبة هي النجم المرشد، إذ يلتهب الرجال بتكريس حقيقي للمسيح، فلا توجد قوة على وجه الأرض تستطيع أن توقف تقدم الإنجيل.

تأمل فريقًا من التلاميذ كرّسوا نفوسهم ليسوع المسيح، مدفوعين بحب له، طافوا يجوبون البر والبحر كارزين بالرسالة المجيدة، وهم يسعون إلى مناطق جديدة بغير كلل، ويرون في كل شخص نفسًا مات المسيح لأجلها، ويبذلون جهدهم لإقناعها بحقيقة المسيح وعبادته. فما هي، ترى، الوسائل التي يستخدمها ذلك الفريق المندفع لإعلان المسيح وتعريف الجميع به؟

يقدم العهد الجديد مبدأين رئيسيين لهذه الغاية. الأول: المناداة العلنية، والثاني: التلمذة الفردية (انظر أعمال ٢٠: ٢٠ كمثال).

وقد كان المسيح وتلاميذه يستخدمون الوسيلة الأولى في المعتاد. فحيثما وجدوا أناسًا مجتمعين اتخذوا من اجتماعهم فرصة سانحة للكرازة بالإنجيل وتقديم الأخبار السارة. ولذلك نجد اجتماعات تذاع فيها بشارة الإنجيل في الأسواق، وفي السجون، وفي المجامع، وعلى شواطىء البحار والأنهار. وذلك لأن الرسالة السامية الملحّة لا تحصر في أماكن الاجتماعات المتعارف عليها.

وكانت الطريقة الثانية لنشر الإيمان هي طريقة التلمذة الفرديّة. وقد استخدم الرب يسوع هذه الطريقة في تدريب تلاميذه الاثني عشر. فدعا هذا الفريق القليل العدد ليكونوا معه، ثم ليرسلهم بعد ذلك. وظلّ يعلّمهم

يومًا بعد يوم، ويثبّتهم في حق الله. وكان يضع أمامهم باستمرار العمل الذي عيّنه لهم ودعاهم للقيام به. وانبأهم بالتفصيل عمّا سيلاقونه من أخطار وصعوبات. وأدخلهم إلى أسرار مشيئة الله، وجعلهم شركائه في الخطة الإلهية المجيدة والصعبة في آن واحد. ثم أرسلهم كحملان في وسط ذئاب. مؤيَّدين بقوة الروح القدس، خرجوا إلى العالم يخبرونه بالمخلّص المُقام والممجَّد. وكانت النتيجة أن أولئك الأحد عشر، بعد خيانة يهوذا، قد قلبوا العالم رأسًا على عقب، من أجل المسيح.

وبولس الرسول لم يمارس هذه الطريقة فقط، بل حضّ أيضًا تيموثاوس على ممارستها قائلا له: «وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاسًا أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا» (٢تيموثاوس٢:٢). فالخطوة الأولى لنجاح هذه الخطة هي اختيار أناس أمناء، بعد الصلاة والتدقيق. والخطوة الثانية هي إيصال الرؤيا المجيدة لهم. والخطوة الثالثة هي إرسالهم ليتلمذوا الآخرين (متى ٢٨: ١٩).

قد تبدو هذه الطريقة متعبة سخيفة غير مجدية، للذين يفضّلون الجموع المحتشدة، ويطمحون للجماهير الغفيرة. ولكن الله يعرف ما يعمل، وطريقته هي أفضل الطرق؛ فما يقوم به عدد قليل من التلاميذ المكرّسين، أعظم جدًا ممّا يقدر عليه جيش جرّار من المتديّنين الذين همّهم إرضاء انفسهم.

وإذ يخرج هؤلاء التلاميذ لتأدية رسالتهم باسم المسيح، فإنهم يتبعون مبادئ أساسية ذُكرت خطوطها العريضة في كلمة الله. فعليهم، أولاً: أن

يكونوا حكماء كالحيّات وبسطاء كالحمام. يعتمدون على حكمة الله للسير في طريقهم الشائك الصعب. في الوقت ذاته، وُدَعاء ومتواضعين في اتصالاتهم بإخوتهم البشر. لا يخشى أحد بطشهم ولا قوّتهم الجسدية، بل يخافون شهادتهم التي لا تنقطع وصلواتهم التي لا تكلّ ولا تملّ.

لا يتحزّب هؤلاء التلاميذ ولا يتدخّلون بالسياسة العالمية. فلا يحاولون إنقلابًا أو حربًا أو اعتناق عقيدة سياسية، بل يعملون تحت أي نظام من نظم الحكومة، ويخلِصون له شرط ألا يمس شهاداتهم أو يدعوهم إلى إنكار سيّدهم. أما إن جاوز الأمر هذا الحد، فهُم يرفضون الطاعة والخضوع، متحملين النتائج مهما كانت، لأنه: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ». على أنهم لا يتآمرون ضد أية حكومة بشرية، كما أنهم يخلِصون تمام الإخلاص لسيّدهم ولملكوته الذي ليس من هذا العالم. ألم يقل المسيح: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ... وَلَكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا» (يوحنا ١٨: ٣٦)؟ هؤلاء التلاميذ هم سفراء للمملكة السماوية، وهم لذلك غرباء في هذا العالم ونزلاء.

إنهم أمناء في كل معاملاتهم، ويتجنّبون كل نوع من أنواع الغش والاحتيال؛ "نعمهم" نعم، و"لاهم" لا. يرفضون الكذبة الشائعة القائلة بأن الغاية تبرّر الوسيلة. ولا يسمحون لأنفسهم، تحت أي ظرف، بأن يعملوا الشر لكي يأتي الخير. ولكل منهم ضمير حي يفضّل الموت على الخطية.

ومبدأ آخر يتبعه هؤلاء الناس، بطرق متنوعة، هو أن يربطوا عملهم بكنيسة محلية. فيذهبون إلى الحقول المبيضة للحصاد ليربحوا نفوسًا للرب يسوع، وبعد ذلك يقودونهم إلى كنيسة محلية لكي يتقووا ويُبنوا على الإيمان الأقدس. ولا عجب، فإن تلاميذ المسيح الحقيقيين يدركون أن الكنيسة المحلّية هي الوحدة الأساسية التي وضعها المسيح على الأرض لنشر الإيمان، وعن طريقها تقوم الأعمال الفاضلة الخالدة.

وهؤلاء التلاميذ حكماء، يتجنّبون فخ التحالفات، أيّ كان نوعها. ويرفضون بشدة أن يسمحوا لأية سلطة بشرية أو نظام بشري أن يملي عليهم ما يريد. يتلقّون أوامرهم من رئاستهم السماوية. ويعملون مع إخوتهم المسيحيين في الكنيسة المحلية، بملء الثقة بأن عملهم ليس إلا بحسب إرادة الله. ومع هذا فهم يصرّون على ضرورة خدمة المسيح بمنتهى الطاعة لكلمته ولإرشاده.

وأخيرًا فهؤلاء التلاميذ لا يُظهرون أنفسهم، لأنهم يكرهون حب الظهور؛ فيعملون خفية بدافع واحد أساسي، هو تمجيد الرب يسوع وإعلانه للآخرين. هم لا يطلبون أشياء عظيمة لأنفسهم. ولا يريدون أن يعلنوا خطّتهم للعدو. ويعملون في هدوء ونشاط وهمة غير عابئين بما يقدّمه لهم الناس من مدح أو ذم، عالمين أن من السماء جزاء عملهم الأفضل.

١٠

التلمذة والزواج

«وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (مت١٩: ١٢)

إحدى المسائل الرئيسية التي يواجهها كل تلميذ هي: هل دعاه الله إلى حياة الزواج أم إلى حياة العزوبة؟ وهذه بالطبع مسألة شخصية بحتة، يتوخّى فيها الفرد إرشاد الرب. فلا يقدر أحد أن يشرّع لغيره في هذا الموضوع أو يتدخّل في أموره لأن التدخّل خطر.

تعليم الكتاب المقدس في هذا الصدد بصفة عامة، أن الله رتّب للجنس البشري لأغراض عدّة منها ما يلي:

لقد عُيِّن للشركة وللبهجة فإن الله – تبارك اسمه – قال: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ» (تكوين ٢: ١٨).

وقد صُمِّم لبقاء الجنس البشري. وهذا واضح من قول الرب: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ» (تكوين ١: ٢٨).

ورُتِّب لحفظ العائلة والمجتمع من الفساد: «لِسَبَبِ الزِّنَا لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ» (١كورنثوس ٧: ٢). وليس في كلمة الله ما يشير إلى أن الزواج نقيض لحياة الطهارة والولاء والخدمة للمسيح. بل بالحري يذكّرنا الكتاب أن الزواج ينبغي أن يكون مكرَّمًا والمضجع غير نجس (عبرانيين ١٣: ٤). ويقول الوحي: «مَنْ يَجِدُ زَوْجَةً يَجِدُ خَيْرًا» (أمثال ١٨: ٢٢)، ويمكن تطبيق كلمات الجامعة: «اِثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ» (جامعة ٤: ٩)، على الزواج، ولا سيّما إذا كان الإثنان يرتبطان معًا في خدمة الرب. هذا التأثير الفعّال المشترك هو ما يشير إليه سفر التثنية حيث يقول: «كَيْفَ يَطْرُدُ وَاحِدٌ أَلْفًا وَيَهْزِمُ اثْنَانِ رَبْوَةً» (تثنية ٣٢: ٣٠).

ومع ذلك، ولو أن الزواج هو إرادة الله للجنس البشري عامة، فلا يعني ذلك بالضرورة أنّه إرادة الله لكل فرد. فمع أن الزواج حقّ لا نزاع فيه لكل تلميذ للمسيح، فإن للتلميذ أن يتنازل باختياره عن هذا الحق لكي يقدّم خدمة للمسيح لا ينازعه فيها منازع.

ولقد نوَّه الرب يسوع أن ملكوته سيضمّ أُناسًا يرغبون بمحض إرادتهم أن يكونوا خصيانًا فقال: «يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ. وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ. وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ

السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» (متى ١٩: ١٢).

وهذا، كما هو واضح، عهدٌ شخصيّ تطوّعي يأخذه الشخص على نفسه نتيجة عاملين:

١- شعوره بأن الله يرشده إلى عدم الزواج.

٢- رغبته في أن يبذل نفسه بأكثر ما يمكن في عمل الرب، ودون أن يعوّقه ارتباطه بمسؤوليّات عائلية.

فلا بدّ إذًا لمن يُقدِم على أمر كهذا أن يكون متأكدًا، ومقتنعًا بإرادة الله ودعوته (١كورنثوس ٧: ٧). فبهذا الاقتناع وحده يستطيع التلميذ أن يتأكد أن الرب سيمنحه النعمة التي يحتاج اليها لضبط النفس.

ولا بدّ، أيضًا، لمن يقدِم على هذا العمل أن يقدِم عليه متطوّعًا مختارًا. فإذا صارت العزوبة إلزامًا كنسيًّا تعرّضت الطهارة والخلق لخطر جسيم.

ولقد أظهر الرسول بولس أن غير المتزوّج ينصرف أكثر لخدمة الرب، فقال: «غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ، وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ» (١كورنثوس ٧: ٣٢، ٣٣).

لهذا السبب عبّر الرسول عن رغبته في أن يقتدي غير المتزوجين والأرامل به، أي أن يلبثوا غير متزوّجين (١كورنثوس٧: ٧،٨). أما الذين سبق لهم أن تزوّجوا فيشدّد عليهم الرسول أنه بسبب قِصَر الوقت، يجب أن يجعلوا كل شيء ثانويًا بالنسبة إلى العمل العظيم، وهو تقديم المسيح

للجميع. وقد قال في هذا الصدد:

«فَأَقُولُ هَذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: الْوَقْتُ مُنْذُ الآنَ مُقَصَّرٌ؛ لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَنْ لَيْسَ لَهُمْ، وَالَّذِينَ يَبْكُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَبْكُونَ، وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَفْرَحُونَ، وَالَّذِينَ يَشْتَرُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَمْلِكُونَ، وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ» (١كورنثوس٧: ٢٩-٣١).

هذا لا يعني بالطبع أن ينتصّل الإنسان من مسؤولياته العائلية، ويترك زوجته وأولاده، ويذهب مُرسلاً إلى البلدان البعيدة. لكنه يعني أنه يجب عليه ألا يعيش لإشباع ملذّات الحياة البيتية، وألا يتخذ من زوجته وأولاده مبرّرًا لإعطاء المسيح المكان الثاني في حياته.

كان "تشارلي استاد" يخشى أن تعطيه خطيبته المكان الأول في حياتها عوضًا عن الرب يسوع؛ ولتفادي ذلك نظم لها بيتًا طلب منها أن تردده يوميًا، يقول:

يسوع أحبك، أنت بالنسبة لي
أغلى مما يمكن أن يكونه شارلي!

وقد كتب بولس الرسول: «الْوَقْتُ... مُقَصَّرٌ» واستطرد يقول: «لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَنْ لَيْسَ لَهُمْ...».

إن المأساة الأليمة هي أن التسرّع في الزواج، أو الاندفاع إليه، دون إرشاد إلهي أكيد، كثيرًا ما يصبح فخًا يستخدمه الشيطان ليعطّل التلميذ

الغيور عن العمل، ويثنيه عن الخدمة المكرّسة لسيده. وكم من روّاد طموحين وضعوا خدمتهم لسيّدهم على مذبح الزواج المتسرّع!

قال "ويسلي جوستافسون":

صحيح أن الزواج مرتب من الله، لكن عندما يعترض سبيل إتمام إرادة الله، يصبح وبالا خطيرًا. وفي استطاعتنا أن نُذكّر عددًا كبيرًا من الناس - رجالا ونساء - سمعوا دعوة الله المحددة لهم لخدمته ولكنهم لم يذهبوا، نزولا عند رغبة شريك الحياة. ينبغي ألا يعطل أي شيء (حتى وأن كان بركة أعطاها الله كالزواج) غرض الله في حياة الواحد منا. كم من نفوس تموت اليوم بلا مسيح، لأن بعض المحبوبين على القلب أخذوا الأولوية عن مشيئة الله.

قال أحدهم:

على الرجال والنساء الذين في المقدمة كطليعة الجيش، أن ينكروا أنفسهم، حتى في صدد ضروريات الحياة، فضلا عن متعتها ولذاتها، ولو كانت شرعية. ويقضي عليهم الواجب أن يحتملوا المشقات، كجنود صالحين، وأن لا يرتبكوا بأمور الحياة، وأن يطرحوا كل ثقل كأبطال رياضيين مدربين... ليس عملهم إلا دعوة ورسالة، وتكريسا لخدمة خاصة.

وقد وُعِد جميع من يسمعون الدعوة ويلبّونها بمكافأة خالدة أكيدة: «إِلَحَقٌّ أَقُولُ لَكُمْ... كُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً، مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ، وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ» (متى ١٩: ٢٨-٢٩).

١١

حساب النفقة

لم يتملّق الرب الناس لقبول الإيمان، ولـم يحـاول قـط أن يقـنعهم بسهولته. بل إنه، كلما احتشدت الجموع حوله، كان يشرح لهـم شـروط التلمذة الصعبة وتكاليفها الباهظة التي لا تقبل المواربة أو التعديل. فـي أحد هذه المرات أنذر الرب سامعيه بأن كل من يريـد أن يتبعـه يجـب عليه أن يجلس أولاً ويحسب النفقة فقال:

«وَمَنْ مِنْكُمْ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجًا، لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ: هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟ لِئَلاَّ يَضَعَ الأَسَاسَ وَلاَ يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ؛

فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ قَائِلِينَ: هَذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ. وَأَيُّ مَلِكٍ، إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ، لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا؟ وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذَلِكَ بَعِيدًا يُرْسِلُ سَفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ» (لوقا ١٤: ٢٨-٣٢).

هنا يشبّه المسيح الحياة المسيحية ببناء، أو بحرب.

فمن الغباوة البالغة أن يبدأ أحد ببناء برج ما لم يكن لديه المبالغ والأرصدة الكافية لإكماله، وإلا يبقى ذلك البرج الناقص رمزًا لِقِصَر النظر ونقص الحكمة.

ما أصدق هذا في الحياة المسيحية! يسهل على الانسان أن يقرر تسليم نفسه للمسيح في حماسة عاطفية في أثناء حملة انتعاشية. لكن لا يسهل عليه بعد التسليم أن ينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبع المسيح. أن تصير مسيحيًا هذا لن يكلفك شيئًا، لكن أن تكمل السير كمسيحي حقيقي بثبات فسيكلف ذلم الكثير من التضحية والانفصال وتحمل الآلام لأجل المسيح! وأن تبدأ السباق المسيحي هذا شيء، أما أن تكمله، يومًا بعد يوم، في الصحو والمطر، في الشدة والرخاء، في السرّاء والضرّاء؛ فهذا شيء مختلف.

يعرف العالم أن الحياة المسيحية إما أن تكلف كل شيء وإما لا تكون شيئًا؛ لذلك فأهله يرقبوننا بعين ثاقبة نافذة. والمسيحي المكرّس قد يُهزأ به في ظاهر الأمر، ولكن إذ يلمس إخلاصه وولاءه فإنه يُحترم ويُقدَّر. على

عكس ذلك فهم يحطّون من قدر من يدّعي المسيحية ولا يطبّق مبادئها بكل قلبه وقواه، وكأنهم يقولون: "هذا الانسان ابتدأ يبني ولم يقدر أن يكمل، بدأ مع الله بعاطفة وحماس وإرادة كلية. أما الآن فهو كواحد منّا. لقد اندفع بأقصى سرعة، وها هو الآن قد توقف ونكص على عقبيه".

لذلك قال المخلِّص: "يحسن بك أن تحسب النفقة".

أما المثل الثاني الذي ذكره المسيح، فهو عن ملك أراد أن يُعلن حربًا على ملك آخر. أفلم يكن من الضروري له أن يجلس أولاً ويقدّر ما إذا كان بإمكانه أن يهزم، بجيشه المؤلف من ١٠,٠٠٠ جندي، جيش العدو الذي يبلغ ضعف هذا العدد؟ أليس من الغباوة أن يعلن الحرب أولاً ثم يعدّ الجيش عندما يكاد الجيشان أن يلتحما في الميدان! فما عليه، والحالة هذه، إلا أن يرفع الراية البيضاء، ويرسل وفدًا من قِبَلِهِ للتسليم قابلاً بانكسار وتذلل، كل الشروط التي يمليها عليه خصمه.

وليس ثمة من مبالغة في تشبيه الحياة المسيحية بحرب. فهناك أعداء ألدّاء: العالم والجسد والشيطان. هناك مثبِّطات ومفشِّلات ودماء جارية وآلام مريرة. هناك ساعات طويلة متعبة من الجهاد والنضال. وهناك ليل حالك تنتظر فيه النفس بزوغ النهار. هناك دموع وآلام وامتحانات قاسية. «إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ».

فكل من اعتزم أن يتبع المسيح، عليه أن يتذكر جثسيماني، وجباثا، والجلجثة. عليه أن يحسب حساب النفقة. فإما تسليم تام للمسيح، وإما استسلام مُذِلّ للعدو.

بهذين المثلين حذّر الرب يسوع سامعيه من التسرّع في التقرير بشأن التلمذة، والانجراف بدافع التحمّس العاطفي. ووعدهم صريحًا بأنهم سيلاقون الاضطهاد والضيق والألم، فعليهم أن يحسبوا حساب النفقة.

ترى ما هي النفقة؟ يجيبنا عن ذلك العدد التالي: «فَكَذلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (لوقا ١٤: ٣٣).

النفقة إذًا هي "كُلُّ شيءٍ"؛ كلّ ما للإنسان، وكل ما في الإنسان. هذا ما عنته النفقة بالنسبة للمخلّص نفسه، ولا يمكن أن تعني أقل من ذلك بالنسبة لتابعيه. فإن كان الغني، الذي لا يُستقصى غناه، قد افتقر طوعًا واختيارًا، فهل ينتظر تلاميذه أن ينالوا الإكليل بنفقة أقل؟!

ثم ختم الرب يسوع حديثه بهذه الخلاصة: «اَلْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلَكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُصْلَحُ؟ لاَ يَصْلُحُ لأَرْضٍ وَلاَ لِمَزْبَلَةٍ فَيَطْرَحُونَهُ خَارِجًا».

يبدو ان الملح، آنذاك، لم يكن من النقاوة مثل الملح الذي نستعمله اليوم على موائدنا. كان ملحهم مخلوطًا بشوائب كالرمل وغيره. فكان ميسورًا أن يفقد الملح ملوحته، فيصبح بلا طعم وبلا فائدة، وإذ ذاك لا يصلح سمادًا للأرض، فلم يبق له سوى أن يُطرح خارجًا لتدوسه الأقدام (متى ٥: ١٣).

ومغزى المثل واضح. إن غرض المسيحي الرئيسي هو أن يمجّد الله بحياة يسكبها بتمامها أمامه. وقد يفقد المسيحي ملوحته إذا انصرف لجمع كنوز على الأرض، أو سعى وراء راحته وملذاته، أو هدف إلى اسم وصيت له في العالم، أو بإفساد حياته ومواهبه باستخدامها في عالم لا يستحقها.

فإذا أخطأ المؤمن هدف حياته الرئيسي، خسر كل شيء. ومصيره كالملح الذي فقد ملوحته: يُداس تحت أقدام الناس، متحملاً تعييرهم وازدراءهم وسخريتهم.

وهذه الكلمات الأخيرة في مثل المسيح: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ».

اعتاد الرب يسوع المسيح أن يختم بهذه العبارة تعاليمه الصعبة، لأنه علم أنها تعاليم لا يقدر أن يقبلها الجميع، وعرف أن بعض الناس سيحاولون تفسير كلامه بشكل يضيّع معناه أو يضعف حدة مطاليبه.

لكنه عرف أيضًا أن هنالك قلوبًا مفتوحة، تخضع لمطاليبه وتستجيب دعواه، عالمة أن الكلفة تساوي الربح؛ ربح المسيح.

من أجل ذلك ترك الباب مفتوحًا قائلاً: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ». والذين يسمعون، يحسبون النفقة، ويبقوا مصمّمين على اتّباع يسوع، وهم لا يترددون في القول:

صممت أني أتبع يسوع — أتبع يسوع بلا رجوع
ولو تركني كل خلاني — أتبع يسوع بلا رجوع
العالم خلفي.. يسوع أمامي — اتبع يسوع بلا رجوع

١٢

ظل الاستشهاد

ليس للإنسان المكرّس، الذي سلَّم حياته للرب تسليمًا كليًا، سوى هَمٌّ واحد، هو أن يتمجّد المسيح في حياته. حتى أن الحياة والموت بالنسبة له سيّان في سبيل هذا الهدف السامي.

إذا قرأت كتاب "انتصار جون وبتي ستام"، ستجد نغمة تتكرّر في الكتاب كله، تلك النغمة التي عبّر عنها بولس الرسول بقوله: «الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ» (فيلبي ١: ٢٠).

وتجد هذه النغمة نفسها في كتابات "جيم إليوت"، الذي وهو طالب

في كلية هويتون، كتب في مفكرّته يقـول: "إنـي مستعد أن أموت لأجل الأوروس (قبيلة من آكلي لحوم البشر)". وكتب في وقت آخر:

"أيها الآب، خذ حياتي، بل أيضا دمي إذا أردت، ولتلتهمه نار محبتك المضطرمة. إنـي لا أريد أن أستبقيه لأنه ليس ملكي. خذه يا رب، خذه كله، واسكب حياتي كلها سكيبًا لأجل العالم. فلا قيمة للدم إلا عندما يسكب على مذبحك".

وكثير من أبطال الله أدركوا هذه الحقيقة وتيّقنوا أنـه «إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ، فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يوحنا ١٢: ٢٤). لقد كانوا يرغبون أن يكونوا حبة حنطة.

وهذا هو الموقف بعينه الذي أراد المسيح أن يعلّمه لتلاميـذه عنـدما قال لهم: «فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهَذَا يُخَلِّصُهَا» (لوقا ٩: ٢٤). ونحن، كلّما فكّرنا في هذه التعاليم، تجلّت لنـا حقيقتها.

أولاً: **إن حياتنا ليست ملكنا.** إنها مُلك ذاك الذي اشتراها بدمـه الكـريم. فهل نتعلّق بغيره لأن أنانيتنا تدفعنا إلى ذلك؟ أجاب عـن هـذا السـؤال "استاد" فقال:

عرفت شيئا عن موت المسيح لأجلي، ولكنه لم يدر بخلدي أنه بذاك العمل اشتراني من آخر. وهذا يعني أنني لم أعد لذاتي بل للذي اشتراني. هذا هو معنى الفداء. فداني الرب بدمه لكي أكون له، لا لذاتي، ولا لأي شيء أو شخص آخر. فلم يبق لي إلا أحد أمرين: إما أن أكون لصا وأحتفظ بذاتي لذاتي، وإما أن أكون أمينا فاقدم كل شيء لله. ولما فهمت معنى موت المسيح لأجلي، لم يصعب عليّ

أن أقدم الكل له.

ثانيًا: **سنموت كلنا إذا تأنى الرب في مجيئه.** فأين المأساة: أن نموت في خدمة ملك الملوك، أو أن نموت موتًا عاديًّا بعيدين عنه؟! هل كان "جيم إليوت" على صواب عندما قال: "ليس أحمق من يقدم ما لا يستطيع أن يحتفظ به ليربح ما لا يمكن أن يفقده"؟

ثالثًا: **أليس من المعقول أن نموت في سبيل مَن مات لأجلنا؟!** إن كان العبد ليس أعظم من سيّده، فأي حقّ لنا أن ندخل السماء دون أن نتألّم كما تألّم هو؟ ولهذا قال "استاد": "إن كان يسوع المسيح - وهو الله - قد مات لأجلي، فليس من تضحية يحق لي أن أبخل بها عليه".

أخيرًا: **من الإجرام أن نحتفظ بحياتنا في حين أننا لو بذلناها طوعًا دون تحفظ لفاضت بركات أبدية على إخوتنا في البشرية.** فكم جادَ أُناس بحياتهم في سبيل بحث طبي! وكم جاد آخرون بها لينقذوا أعزّاءهم من بيت مشتعل بالنار. وما زال يجود كثيرون بحياتهم في معارك حامية الوطيس لإنقاذ وطنهم من قوّات الأعداء. فما هي إذًا قيمة حياة الناس في نظرنا؟ هل نستطيع أن نقول مع "ف. مايرز":

"إني أرى النفوس من بعيد مقيدة بالأغلال، بينما كان لها أن تظفر وتنتصر. وأرى الناس عبيدًا وكان يجب أن يكونوا ملوكًا، أراهم يشاركون بعضهم بعضًا في أمل زائل مكتفين بمظهر الأشياء دون جوهرها. فاندلعت في صدري نيران من الشوق. وانطلق صوت من أعماق نفسي كأنه بوق يناديني ويهيب بي أن أتقدم لإنقاذهم حتى ولو تعرّضت في سبيل ذلك للموت!"

ليس مفروضًا على الجميع أن يموتوا شهداء. قليلون فقط يستشهدون بالحراب أو بالمقصلة أو سواها، ولكن على كل منّا أن يحمل بين جوانحه روح الشهيد وغيرته وولاءه. وعلى كل منّا أن يحيا حياة أولئك الذين سكبوا حياتهم على مذبح الاستشهاد في سبيل المسيح.

١٣

مكافآت التلمذة الحقيقية

هناك مكافآت جزيلة للذي يسلّم حياته تمامًا للـرب يـسوع. فهنـاك فرح وبهجة وشبع، في إتّباع الربّ، يساوي الحياة كلها.

قال المخلّص مرارًا وتكـرارًا: «مَـنْ أَضَـاعَ حَيَاتَـهُ مِـنْ أَجْلِي يَجِدُهَا» ولهذا القول أهمية كبرى، وإلا لما أوردته البشائر الأربع (أنظر متـى١٠: ٣٩؛ ١٦: ٢٥، مرقس ٨: ٣٥؛ لوقا ٩: ٢٤؛ ١٧: ٣٣، يوحنا ١٢: ٢٥). ترى لماذا تكرّر هـذا القول بهذه الكثرة؟ أليس لأنه يقدّم مبدأ من أعظم المبادئ الأساسية فـي الحياة المسيحية، ألا وهو أن النفس التي يحتفظ بها الانسان لذاته يفقـدها،

أما الحياة التي يسكبها الانسان لأجل المسيح، فهي الحياة التي يجدها، ويخلّصها، ويتمتع بها، ويحفظها إلى حياة ابدية؟

بئس الحياة المسيحية اذا كانت فاترة مجزأة. ونعمَ الحياة المكرّسة تمامًا للمسيح؛ فهي أضمن سبيل للتمتع بأفضل ما يعطيه المسيح.

والتلميذ الصحيح للمسيح يعتبر نفسه عبدًا لسيّده، ويجد في خدمته الحرية الكاملة. هناك حرية حقّة للنفس التي تقدر أن تقول: "أنا عبد لسيدي". ففي هذه العبودية أجد الحرية التامة.

لا يعبأ التلميذ بالأشياء الصغرى التافهة، ولا بالأمور الزائلة العابرة، بل يهتم بالأمور الأبدية. ويغتبط، كما كان يقول هدسون تيلر، "بقلة همومه"!

قد يكون التلميذ مجهولاً، لكنه معروف حق المعرفة، ومع أنه يموت باستمرار، لكنه يحيا أيضًا باستمرار! قد يكون مؤدَّبًا لكنه غير مقتول. في حزنه يفرح، وفي فقره يُغني كثيرين. فكأن لا شيء له وهو يملك كل شيء (٢كورنثوس ٦: ٩، ١٠).

وكما أن التلمذة الصحيحة هي حياة الشبع والفضيلة في هذه الحياة، فكذلك لها أبهى المكافآت وأرغدها في الحياة القادمة. فإن ابن الانسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله (متى ١٦: ٢٧).

وبالتالي، فإن الانسان السعيد حقًا، السعيد في هذه الحياة وفي الحياة الأبدية، هو الانسان الذي يستطيع أن يقول مع "بل بوردن": "أيها الرب يسوع أنا أتخلى تمامًا عن حياتي لتكون كلها تحت تصرفك. إني أتوجك على عرش قلبي، فغيّرني، وطهّرني، واستخدمني كما تشاء".

١٤

أين كنزك؟

«لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض... بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء... لأنه حيث كنزك هناك قلبك أيضًا» (متى ٦: ١٩-٢١).

حيثما يكون الكنز هناك يكون القلب. وهذا إما أن يكون في خزنة المال الآمنة، أو أن يكون في السماء! لكنه لا يمكن أن يكون في المكانين في آن واحد. لقد قال أحدهم: "إما أن يترك المسيحي غناه، أو أن يذهب معه".

لقد منع الرب يسوع تلاميذه من أن يكنزوا لهم كنوزًا على الأرض. لقد أراد أن تكون قلوبهم في السماء.

مع هذا، فإن تعليم المسيح هذا يَظهَر لنا اليوم أنه متطرِّف ومتعصِّب. هل بالحقيقة كان يقصد ذلك تمامًا؟ أليس المنطق السليم يعلِّمنا أننا يجب إعداد ما فيه الكفاية لشيخوختنا؟ ألا يُتوقع منا أن نكون حكماء ونخزن للأيام الماطرة؟ وأن نهتم بمن نحبهم؟ هذه أسئلة جادة يجب مواجهتها باستقامة وصراحة من كل الذين يعترفون بأتباع للمسيح.

ما هي الأجوبة؟ ما الذي يعلّمه الكتاب المقدس بما يتعلق بالغنى في حياة المؤمن؟ هل من الخطإ جني الغنى الشخصي؟ ما هو مستوى معيشة المؤمن؟

نشيط في العمل

أولاً، جميعنا متفقون على أن الكتاب المقدس لا يمنع ربح المال. لقد اشتغل الرسول بولس لأجل احتياجاته الشخصية (أعمال ١٨: ١-٣؛ ٢تسالونيكي ٣: ٨). لقد علّم أن الذي لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضًا (٢تسالونيكي ٣: ١٠). لا شك في أن الكتاب يشدِّد على أن الشخص يجب أن يشتغل بنشاط لأجل تدبير احتياجاته واحتياجات عائلته.

لكن يمكننا القول إنه على المؤمن أن يجني أكثر ما يمكنه من المال؟ طبعًا لا، لأن تصريح مثل هذا يجب دعمه من كلمة الله.

يمكنه أن يربح بقدر استطاعته، ولكن مع التحفظات التالية:

- أن لا يُسمح لشغله أن يأخذ جُلَّ الاهتمام على حساب ما للرب.

- عليه عدم إهمال أي من التزاماته لملكوت الله وبرّه (متى ٦: ٣٣).
- يجب ألا يتسبب شغله في خسارة للبركة، والسجود، والخدمة؛ عند السعي وراء المصالح.
- يجب على المؤمن أيضا أن يجني ماله بطرق مستقيمة (أمثال ٢٠: ١٧). ربما تكون سمعة عمله ممتازة، لكن الطرق التي يجني بها أرباحه تكون غير مستقيمة. مثال على ذلك:
  - عدم التصريح بدخله الحقيقي للضرائب (أمثال ١٢: ٢٢).
  - يغش بالموازين والقياسات (أمثال ١١: ١).
  - يعطي الرشوة للمفتشين والمسؤولين (أمثال ١٧: ٢٣).
  - يقوم بالدعاية عن أفضليات في منتوجاته لكن هي في الحقيقة غير حقيقية (أمثال ٢٠: ٦).
  - يغش بخصوص المصروفات فيزيدها (أمثال ١٣: ٥).
  - يراهن في السوق العامة أو في سوق المال مما يشكل نوعًا من القمار (أمثال ١٣: ١١).
  - دفع أجرة العامل والموظف أقل من استحقاقه (أمثال ٢٢: ١٦)، ولهذا التصرف يصرخ يعقوب قائلاً: «هوذا اجرة الفعلة، الذين حصدوا حقولكم، المبخوسة منكم، تصرخ. وصياح الحصادين قد دخل إلى أذني رب الجنود» (يعقوب ٥: ٤).
- يمكن للمؤمن أن يجني قدر ما يستطيع من المال بدون تعريض صحته للضرر، لأن جسده هيكلٌ للروح القدس (١كورنثوس ٦: ١٩). فيجب ألا يتلف صحته سعيًا وراء الغنى.

> اخيرًا، يمكن للمؤمن أن يجني بقدر ما يستطيع، بدون أن يصبح طماعًا. يجب أن لا يصبح عبدا للمال بتاتًا (متى ٦: ٢٤). أن نجني المال أمر مقبول، ولكن يجب ألا نقع في حبه (مزمور ٦٢: ١٠).

مختصر القول:

يمكن للمؤمن أن يربح بقدر استطاعته، على أن

يعطي الله المكان الأول،

ويتمم واجبه لعائلته،

ويشتغل بطريقة بنّائة،

ويتعامل بأمانة وصدق،

ويحافظ على صحته،

ويمتنع عن الطمع.

١٥

الحيازة وليس التملك

السؤال التالي الذي يجب أن نواجهه هو: "هل من الخطإ ذخر المال عندنا؟ على قدر ما يقول العهد الجديد بهذا الخصوص، فإن الجواب بالتاكيد: نعم!

لا يدين الكتاب المقدس من يصبح غنيًا. يمكن للشخص أن يصبح غنيًا في ليلة وضحاها بواسطة امتلاكه إرث كبير. لكن يوجد الكثير ليُقال بما يمكن أن يُعمل بهذا الغنى.

إليك ما يعلِّمه الكتاب المقدس:

أولاً، **نحن وكلاء الله** (١كورنثوس ٤: ١، ٢). وهذا يعني أن كل ما لدينا يخصّه، لا يخصّنا. ومسؤوليتنا هي أن نستعمل ماله لمجده. إن فكرة الـ ٩٠% لنا لنستعملها والـ١٠% الباقية هي حصة الرب، هذا تفسير خاطيء لما يقصده العهد الجديد عن الوكالة. فإن الكل للرب.

النقطة الثانية: **علينا أن نكون مكتفين بما عندنا من طعام وشراب.** «فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا» (١تيموثاوس ٦: ٨). والكلمة كسوة تعني اللباس أو السقف فوق رؤوسنا. ويمكن أن يُقصد بها أي نوع من الملجإ أو اللباس. فقصْد الكتاب هو أن نكون مكتفين بضروريات الحياة: الطعام واللباس والمأوى. وعندما يسمح الرب بحصولنا على بيت، فهذا أكثر مما كان له عندما عاش على الأرض؛ فلم يكن لديه أين يسند رأسه (متى ٨: ٢٠).

ومن الطبيعي للمؤمن الذي يملك عملاً خاصًا، أن يحتاج إلى رأس مال ثابت وآخر منقول من أجل أن يستطيع الاستمرار. يجب أن يتمكن من دفع ثمن المواد وأجرة العمال والموظفين، وأن يكون باستطاعته تلبية كل المطاليب المالية التي تأتيه يومًا فيومًا. لا يوجد ما يمنع المؤمن المسيحي في الأعمال الخاصة من أن يكون بحوزته المال اللازم لاستمرار العمل.

الأمر التالي هو أن **نعيش حياة مقتصدة**، متوخّين عدم التبذير من أي نوع. بعد أن أطعم يسوع الخمسة آلاف، طلب من التلاميذ أن يجمعوا الطعام المتبقي (يوحنا ٦: ١٢). فهو بمثاله هذا يعلمنا الاقتصاد بكل مكان ممكن.

إننا نشتري الكثير من الأشياء الغير ضرورية، خصوصًا في فترات الأعياد. نصرف بعض المال على أشياء بدون قيمة، سريعًا ما تجد مكانها في المخزن حيث لا تنفع أحدًا.

نشتري أشياء باهظة الثمن، مع أن مثيلها الأرخص سعرًا في كثير من الأحيان يقضي الحاجة تمامًا. (ليس بالضرورة أن الأشياء الرخيصة دائمًا "أفضل شروة"؛ علينا فحص الأسعار والجودة والوقت الذي نوفره الخ...)

يجب تدريب أنفسنا على مقاومة تجربة رغباتنا شراء كل ما نريده. وعلينا تطوير عادة العيش باقتصاد، من أجل ابن الإنسان.

كل ما هو أكثر من احتياجاتنا يجب تشغيله في سبيل الرب (اتيموثاوس ٦: ٨). تذكّر، أن كل شيء له، ونحن وكلاؤه. وعملنا أن ننشغل بتنفيذ أهدافه على الأرض، بتوظيف كل قدراتنا.

سوف نرى معارضة فورية لفكرة التخلي عن كل ما يفوق الطعام والكساء والمسكن، لنستخدمه في سبيل الرب، وسيوصف الأمر بالتهور، والمغامرة، وقصر البصيرة.

لكن يوجد لدينا الإثبات من شخص واحد قد قام بذلك. كانت أرملة، وقد كان بحوزتها فلسان وضعتها كلها للهيكل. لم يوجِّهها الرب لعمل ذلك، ولكنه قال عنها: «بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ، لأَنَّ هَؤُلاَءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا فِي قَرَابِينِ اللهِ، وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا» (لوقا ٢١: ٣-٤).

لقد نُهينا من أن نكنز لنا كنوزا على الارض. فكلمات الكتاب المقدس سهلة الفهم وواضحة:

«لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ، حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ. لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ، هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا» (متى ٦: ١٩-٢١).

الكثيرون منا يفضّلون لو لم تكن هذه الآيات في الكتاب المقدس! نحن نؤمن أن يسوع تكلم بها، وأنها موحى بها من الله، ولكننا نعتقد أنها لا تنطبق علينا. فلا نطيعها. ولهذا نعتبر منا لو لم يقلها الرب.

ولكن تبقى الحقيقة الواضحة وهي: إنها خطية أن تكنز لك كنوزًا على الأرض. إنها تعارض كلمة الله مباشرة. وما ندعوه: حيطة وبصيرة سليمة، هو في الواقع: تمرّد وإثم. وبقي القول الصحيح إنه حيث يكون كنزنا هناك يكون قلبنا أيضًا.

ذهب الدكتور "صموئيل جونستون" مرة بدعوة من صديقه في جولة إلى قَصر فاخر جدًا، تجول وسطه وفي الحدائق الجميلة المعتنى بها جيدًا. عندها استدار وقال لصديقه: "هذه هي الأشياء التي تجعل من الموت أمرًا صعبًا"!

أخيرًا **علينا ان نضع ثقتنا بالرب بما يختص بالمستقبل.** فالله يدعو شعبه لحياة

الإيمان، لحياة الاعتماد عليه وحده. يعلمنا أن نصلي: «خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ» (متى ٦: ١١). ومن قصة المَنّ نفهم أنه يعلمنا الاعتماد عليه يومًا فيومًا من أجل تدبير احتياجاتنا (خروج ١٦: ١٤-٢٢). هو نفسه سيكون ضماننا، يجب علينا أن لا نتّكل على القصبه المكسورة في هذا العالم.

هذه هي إذا مشيئة الرب لشعبه:

أن ندرك أننا مجرد وكلاء

وأن كل ما بحوزتنا هو له،

ويجب أن نكون مكتفين بضروريات الحياة،

وأن نعيش باقتصاد بقدر ما نستطيع،

وأن نضع كل ما يزيد عن احتياجاتنا في عمل الرب،

وأن لا نكنز لنا كنوزًا على الارض؛

وأن نثق به للمستقبل.

ما الضرر في ذلك؟

لماذا يعتبر المسيحي مخطئًا عندما يجمع أو يكنز الثروات؟

أول شيء هو خطأ لأن **الكتاب المقدس يقول ذلك** (متى ٦: ١٩)؛ وهذا في حد ذاته سبب كافٍ. لماذا كان خطأ أن يأكل آدم وحواء من ثمر شجرة معرفة الخير والشر؟ لأن الله قال ذلك، وهذا القول يحسم كل أمورنا.

ثانيًا: إنه خطأ لأنه **يتغاضى ولا يبالي بالحالة الروحية الملحة التي يحتاجها العالم اليوم** (لمثال ٢٤: ١١-١٢). فهناك الملايين من الرجال والنساء، والفتيان والفتيات، لم يسبق لهم أن سمعوا إنجيل نعمة الله. ملايين ليس لديهم الكتاب المقدس

الذي يجدون فيه الطريق الصحيح إلى الله والتعليم السليم للحياة المسيحية؛ فيموتون بدون علاقة صحيحة مع الله، وبدون المسيح وبلا رجاء.

إن إمتلاك وسائل نشر الإنجيل وعدم استخدامها لهو شكل من أشكال القتل الروحي (حزقيال ٣٣: ٦).

ما هذا إلا شهادة علنية واضحة عن عدم وجود محبة للرب، في قلب كل من يكنز ثروات هذا العالم! لأنه مكتوب «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟» (١يوحنا ٣: ١٧).

عندما عثر الرجال الأربعة البرّص، الذين كانوا يتضورون جوعًا على كمية وافرة من الغذاء، أشبعوا جوعهم، ثم أسرعوا ليشاركوا اكتشافهم مع الأخرين فيما عثروا عليه وشبعوا منه (٢ملوك ٧: ٩). فهل يكون المسيحيون، في عهد النعمة، أقل عطفًا من البرّص الذين عاشوا في عهد الناموس؟!

ثالثًا: إنه لَمن الخطأ تكديس الأموال، لأن ذلك **ينم عن قساوة القلب تجاه الاحتياجات الطبيعية والضرورية الهائلة للعالم** (أمثال ٣: ٢٧-٢٨؛ ١١: ٢٦). إن الرجل الغني المذكور في لوقا١٦، لم يُبدِ أي اهتمام للمستعطي المطروح عند بابه، ولم يتّجه نحو نافذته ليزيح الستارة جانبًا ليرى رجلاً في احتياج حقيقي، إنسانًا جديرًا بأن يُنفق عليه بعضًا من نقوده. ولكنه لم يهتم بذلك.

العالم اليوم مليء بأمثال لعازر، مطروحون أمام أبوابنا. والرب يسوع يقول لنا «تحب قريبك كنفسك» (متى ٢٢: ٣٩). فإن رفضنا أن نُصغي اليه

الآن، فقد نسمعه يومًا ما يقول لنا: «لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي... بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا» (متى ٢٥: ٤٢-٤٥).

ثم إنه لمن الخطإ على المسيحي أن يكنز له كنوزًا على الأرض لأن هذا قد يكون **سبب تجديف غير المؤمنين على اسم الله** (رومية ٢: ٢٤). هذا ما دفع "فولتير" لأن يقول: "عندما يصل الأمر للمال، فكل الناس دينهم واحد".

فالعديد من غير المخلّصين على دراية بتعاليم يسوع المسيح، ويعرفون أنه علينا أن نحب قريبنا، لكنهم يلاحظون التناقض الواضح بين سلوكنا وبين أقوال الرب، عندما يرون أن المعترفين باتباعهم للمسيح يترفهون في بيوت ضخمة، وسيارات فخمة، وأطعمة شهية وثياب غالية الثمن.

إنه وقت لكي تصحو الكنيسة! فنتحدث مع الشباب المتعلّم في كل أرجاء العالم، ونصغي لانتقادهم للمسيحية! فهؤلاء لا يعارضون مباديء يسوع المسيح، لكنهم يقاومون بشدة غنى الكنيسة والمسيحيين في عالم مسحوق بالفقر!

نحن لا نهتم بتأثير الأمر على غير المؤمنين فقط، ولكننا نهتم بالمؤمنين الأحداث أيضًا. فهم يراقبون شيوخهم ويتخذونهم **قدوة لهم**، فطريقة حياتنا أهم من تعاليمنا، فإحساسنا بالقيَم والمبادئ لا يكون بحسب الموعظة الحماسية التي نلقيها يوم الأحد، إنما بالهدف الذي نسعى خلفه من يوم الاثنين حتى السبت.

يحكُم الشباب على حقيقة عيشتنا كغرباء في العالم بما يرونه في تقييمنا للامور الزمنية. إنهم لا يتأثرون بالصلوات المؤثِّرة التي تطلب المال لأجل عمل الرب، بينما عندهم المال اللازم لتسديد احتياجات الخدمة بمجرد جرة قلم.

فإن صرفنا حياتنا في جمع الثروة، فيجب ألا نستغرب عندما يتبع الشباب مثالنا. ليتنا لا ننسى إنذار الرب يسوع:

«لاَ يُمْكِنُ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِلَّذِي تَأْتِي بِوَاسِطَتِهِ! خَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحًى وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ، مِنْ أَنْ يُعْثِرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ» (لوقا ١٧: ١-٢).

ويُعتبر جمع الثروة خطية لسبب آخر، وهو لأنها **تسلب الله** (ملاخي ٣: ٨). سبق وعرفنا أن كل ما لنا هو له. فإذا كنا لا نقدر أن نستخدم كل ذلك في تقدم الأمور الإلهية، فليتنا نساعد به أولئك الذين يعرفون أن يستخدموه في عمل الرب. فلا عذر لنا في إخفائه في منديل (لوقا ١٩: ٢٠-٢٦).

فشلنا في طاعة الرب بما يختص بالوكالة على الأموال، يغلق مقاطع من الكتاب عن فهمنا (متى ٦: ٢١-٢٣)، فتعمى عيوننا أمام الأجزاء الكتابية التي هي في غاية البساطة وواضحة جدًا في وجوههم.

وما هذا إلا مظهر واقعي لطبيعتنا الساقطة المنحرفة.

الجدير بالذكر أنه كلما أبعدنا تعليم الكلمة من مركز حياتنا ومسؤولياتنا، كلما قلَّ ضغط طبيعتنا الخاطئة على استنتاجنا. وكلما تعمقنا في دراسة

الكلمة وازددنا قربًا لخالقنا، كلما زاد نشاط الطبيعة الساقطة فينا لتعمي أذهاننا عن الحق الذي لا نريد أن نؤمن به، ولكي تشجعنا على التمسك بفرضية تبدو أنها ستعفينا من مسؤوليتنا. (فريدريك فلبي)

كتب "هارننجتون س. ليز" في هذا المجال: "الجزء الأكثر حساسية عند الإنسان المتحضر هو جيبه، وإن الصراع الأكثر قساوة الذي يشنه الواعظ من على المنبر هو عندما يلمس جيوب سامعيه".

فالأجزاء الكتابية التي تتكلم عن إنكار الذات، عديمة التأثير عندما نعيش حياة رخاء. وبالتأكيد لا يمكننا أن نُعلِّم أي مقطع كتابي بفاعلية إن لم نكن قد عشناه بأنفسنا. فواحدة من لعنات عدم الطاعة في هذا الأمر، كما هي في باقي النواحي، هو كتاب مبتور (متى ١٣: ١٤-١٥).

إن تجميع الثروات **يجعل حياة الإيمان العملي مستحيلة**. لماذا؟ لأنه يستحيل عليك أن تجمع ثروة دون أن تتكل عليها. فالرجل ذو الأموال لا يعرف مقدار اعتماده عليها. «ثروة الغنيّ مدينته الحصينة، ومثل سورٍ عالٍ في تصوره» (أمثال ١٨: ١١).

إنه يعتمد على المال في حل جميع مشاكله، ليمنحه سعادة في الحاضر وأمانًا للمستقبل. فإذا ما خسر كل ثروته فجأة، يفقد متّكله ومعتمده، ويصل إلى حالة من الهلع.

والحقيقة هي أننا نثق في حساب البنك الذي نراه، بدل أن نثق بالله الذي لا نراه. ففكرة أن لا يكون اعتمادنا على أي شيء أو شخص آخر سوى الله كفيلة بالتسبب لنا بانهيار عصبي!

لا نشعر بالأمان بين يديه، لكننا نشعر بالاطمئنان إذا كانت لدينا كنوز هذا العالم، التي تحمينا من المصادفات والتغيّرات المفاجئة، فنشعر بالأمان بالقدر الكافي. وهذا بالتأكيد شعور عام.

"كلنا نكون في خطر الانزلاق إلى حالة الانزعاج وعدم الثقة بتدبير الله الأبوي" (صموئيل كوكس).

فإرادة الله هي أن تكون حياتنا في أزمة دائمة؛ لكي يكون الاعتماد الكلي والدائم عليه، أما عندما نكنز كنوزًا على الأرض، فإننا نناقض مشيئته لحياتنا.

حياة الإيمان هي الحياة الوحيدة التي ترضي الله؛ لأنه «بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه» (عبرانيين ١١: ٦). حياة الإيمان هي الوحيدة التي تضمن لنا الأمان الحقيقي، «هو من الإيمان... ليكون الوعد وطيدًا» (رومية ٤: ١٦). ولأنه ليس شيء مؤكَّد أكثر من وعد الله، فالنتيجة أن حياة الإيمان التي لا يشوبها القلق. تنشأ الاضطرابات العاطفية والعصبية من الاعتماد على الماديات وليس من المسير مع الله بالإيمان.

وحياة الإيمان هي الوحيدة التي تجلب المجد لله. أما اذا سلكنا بالعيان فنحن نُمجد البراعة والذكاء البشريين.

حياة الإيمان تتكلم بصوت أعلى لغير مؤمنين، وللمؤمنين الآخرين. إنها تشهد عن وجود الله الذي يسمع الصلاة. الإيمان هو عكس العيان؛ فعندما ترى بالعين فلا يمكنك السير بالإيمان. وهكذا فإن كنز الثروة يجعل حياة الإيمان مستحيلة!

عندما يصبح الشخص مؤمنًا حقيقيًا، لا تأتي حياة الإيمان بطريقة تلقائية، لكنها تتطلب قرارًا مقصودًا من جانبه، خصوصًا في المجتمعات الثريّة. يجب أن يضع المؤمن نفسه في وضع يكون فيه مُرغَمًا على الثقة بالله. يمكنه عمل ذلك ببيع كل ما يملك وإعطائه للفقراء. وكأنه يتخلّص من كل الفائض الذي بحوزته وموارد الضمان الكاذبة، لكي يستطيع، فعلاً، الإبحار إلى العمق.

ليس هذا فقط، بل إنه **من سبيل التحقير للرب ان نعيش كملوك في عالم ما زال يرفضه**، وخدامه يُضطهدون فيه. لقد شبّه بولس الكورنثيين كمن هم جالسون على أغلى مقاعد في الملعب، واضعين تيجانًا على رؤسهم، ويرتدون أفخر الملابس. وفي نفس الوقت صوَّر الرسل في الميدان وهم جاهزون لتلتهمهم الوحوش الضارية.

«إِنَّكُمْ قَدْ شَبِعْتُمْ! قَدِ اسْتَغْنَيْتُمْ! مَلَكْتُمْ بِدُونِنَا! وَلَيْتَكُمْ مَلَكْتُمْ لِنَمْلِكَ نَحْنُ أَيْضاً مَعَكُمْ! فَإِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا، نَحْنُ الرُّسُلَ، آخِرِينَ؛ كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ. لأَنَّنَا صِرْنَا مَنْظَراً لِلْعَالَمِ لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ. نَحْنُ جُهَّالٌ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحُكَمَاءُ فِي الْمَسِيحِ! نَحْنُ ضُعَفَاءُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَقْوِيَاءُ! أَنْتُمْ مُكَرَّمُونَ وَأَمَّا نَحْنُ فَبِلاَ كَرَامَةٍ! إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَتُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ. وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا. نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ. نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ. يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظُ. صِرْنَا كَأَقْذَارِ الْعَالَمِ، وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الآنَ» (١كورنثوس ٤: ٨-١٣).

لقد ملك أهل كورنثوس قبل أن يملك المسيح نفسه! فإن تتويج واحد من رعايا الملك قبل تتويج الملك نفسه أولاً، يُعتبر تحقيرًا فاضحًا للملك.

فتجميع الثروة هو عكس المثال الذي قدّمه الرب يسوع. فقد كان غنيًا بلا حدود، لكنه افتقر بكامل إرادته؛ لكي يُغنينا نحن بفقره (٢كورنثوس ٨: ٩).

يوجد في لغة العهد الجديد الأصلية كلمتان تُرجمتا بمعنى "فقير". إحداهما تعني: "حالة رجل عامل ليس لديه أكثر من قوته اليومي"، والثانية تعني: "فقيرًا مُعدَمًا أو مجرَّدًا من الغنى". والكلمة الثانية هي التي استعملها الرسول بولس لوصف الرب يسوع! كم منا يرغب أن يتبع الرب يسوع إلى النهاية؟

أحد الشرور الاخرى للغنى هو أنه **يضر بحياة الصلاة**. فعندما يكون كل شيء متوفرًا، فلماذا نصلي؟ والأخطر من ذلك: الخجل عندما نسأل الله ليفعل أشياء نستطيع نحن أن نفعلها بانفسنا. على سبيل المثال، كم مرة نسأل الله أن يزوّدنا أموالاً من أجل مشاريع معينة نستطيع أن نأتي بها نحن بدون تأخير. ما أكثر المرات التي نبخل في إعطاء الرب من ماله الذي له!!

أخيرًا، من الخطإ على المؤمنين أن يهتموا بجمع المال، لأن ذلك قد **يشجع الآخرين ليصبحوا مسيحيين على امل ان يصبحوا اغنياء**. لقد كان فقر المؤمنين الأوائل ذُخرًا لهم، وليس دينًا عليهم.

العقيدة التي قلبت العالم رأسًا على عقب، كان دعاتها الأوائل رجالاً فقراء، سددت احتياجاتهم الأساسية من السماء. فلو امتلك الرسل نقودًا ليمنحوها لسامعيهم، أو

كان وراءهم جيوش لإخافة الجموع، لأنكر المتشككون أن وراء نجاحهم كان شيئا رائعا. لكن فقر تلاميذ الرب، سحب البساط من تحت أقدام هؤلاء. ولكن، مع تعليم غير مستساغ للقلب الطبيعي، وبدون وجود ما يمكن استعماله للرشوة وفرض الطاعة؛ فتن المسكونة عدد من رجال جليليين فقراء، وغيروا وجه الامبراطورية الرومانية. وكان السبب الوحيد في ذلك النجاح هو ايمانهم بإنجيل المسيح، بأنه كلمة الله (ج. رابل)

كتب "جيلمور المنغولي": "إذا ذهبت إليهم غنيًا لاستمروا بالتوسل إليّ واعتبروني ليس أكثر من مصدر للهبات. ولكن إن ذهبت بلا شيء سوى الإنجيل، لن يعطل أي شيء اهتمامهم عن العطية التي لا يعبّر عنها".

التقى بطرس ويوحنا بالأعرج عند باب الهيكل، عندما سألهم ليأخذ صدقة اجابه بطرس: «ليس لي فضة ولا ذهب، ولكن الذي لي فإياه أعطيك: باسم يسوع المسيح الناصري قُم وامشِ» (أعمال ٣: ٦).

ربما يقول بعضهم: يجب أن يكون الواعظون فقراء، ولكن ليس بالضرورة كل المسيحيين؟ لكن في أي مكان في الكتاب المقدس نجد هذا التعليم عن معايير اقتصادية مختلفة تختص بالمبشرين والمرسلين، وغيرهم الذين يبقون في البيوت؟!

١٧

موضوع الأموال المجمّدة

أسهبنا في عرض أسباب الخطإ في اكتناز المسيحي للثروة، ولا بد أن نناقش بعض المزاعم الشائعة التي يستخدمها المؤمنون لتبرير جمعهم للمال لسدّ احتياجهم واحتياجات عائلاتهم المستقبلية.

الادعاء الاول هو كالتالي: إنه لَمِنَ الحكمة أن نوفّر نقودًا لشيخوختنا، فماذا سيحدث لنا عندما نصبح عاجزين عن العمل؟ نحن نتوقع دائمًا اليوم الممطر، الذي لا نستطيع أن نعمل فيه، والله يتوقع منا استعمال المنطق السليم لما سيحدث لنا.

يبدو هذا المنطق مقنعًا، إلا أنه ليس لغة الإيمان. تصبح المدخرات هنا ركائز ودعامات بديلاً عن ثقتنا في الرب، لأننا لا يمكننا أن نؤمن عندما نرى.

عندما نقرِّر أن نوفِّر لمستقبلنا، تقابلنا مشاكل أخرى، مثل: ما هو المبلغ الذي سيكون كافيًا لنا؟ كم من السنوات سنعيش؟ هل سيكون هناك كساد أو تضخم؟ هل سنكون قادرين على تحمّل تكاليف العلاج؟

يستحيل علينا تحديد المبلغ الذي يكفي، فنحن نصرف حياتنا في جمع الثروة لنوفّر احتياجات سنوات قليلة بعد التقاعد، في ذات الوقت نكون قد سلبنا الله، في الأيام التي قضيناها لتأمين حياتنا بطرق غير مضمونة.

جيد أن نعمل بنشاط من أجل احتياجاتنا الزمنية، ونخدم الرب باذلين كل الجهد، ونضع كل ما يزيد عن احتياجاتنا الحاضرة في عمل الرب، ونثق به من جهة المستقبل، لأنه وعد من يضعه في المقدمة «وهذه كلها تزاد لكم» (متى ٦: ٣٣).

كتب الرسول بولس لأهل فيلبي، الذين استخدموا أموال الرب في نشر الحق: «فيملأ إلهي كل احتياجكم، بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع» (فيلبي ٤: ١٩).

هناك مأساة لا يمكن التعبير عنها في الفلسفة السائدة الآن، القائلة أن يُنفق الشخص عمره في جمع الثروة على أمل أن يعطي وقت تقاعده للرب! وهذا يعني أن نعطي أفضل سنوات عمرنا لعمل في مصلحة تجارية، ثم نعطي البقية الذابلة من حياتنا للرب ليسوع! وحتى هذه البقية الذابلة ليست

مضمونة، عادة ما تنتهي قبل أن نزيل الغبار عن كتابنا المقدس.

يبدو منطقيًا ان نوفر لليوم المطير. ولكن حقيقة الأمر هي كما وضحها "كاميرون تومسون": "إن الله يسكب بركاته المختارة على التواقين بأن لا يلتصق شيء بأيديهم. أما الذين يهتمون بأمور الغد الماطر، أكثر من اهتمامهم بالعالم المتألم حولهم، فلا يحصلوا على أي بركات من الله".

الادعاء الثاني، يُستعمل لتبرير ادّخار المال على الأرض بناء على رسالة تيموثاوس الأولى ٥: ٨ «وإن كان أحد لا يعتني بخاصته، ولا سيما أهل بيته، فقد أنكر الإيمان، وهو شرٌّ من غير المؤمن».

في هذا المقطع، يتعامل بولس مع موضوع الاعتناء بالأرامل في الكنيسة. يقول إنه من مسؤوليات أقرباء الأرملة المؤمنين أن يعتنوا بها، وإن لم يكن لها أقرباء ليقوموا بهذه المسؤولية فيتحتَّم على الكنيسة ان تعتني بها.

والشيء المهم هنا أن بولس لا يتكلم عن ادخار المال لإعالة الأرملة في المستقبل، ولكنه يتكلم عن احتياجاتها الحاضرة. فعلى المؤمنين أن يعتنوا بالأقرباء المُعوزين كل الأيام. وإن لم يفعلوا ذلك، فهذا إنكار عملي للإيمان المسيحي، الذي يعلِّم الحب والكرم المسيحي. حتى غير المؤمنين يهتمون بأقربائهم، فالمؤمنون الذين لا يفعلون ذلك يكونون اسوأ من غير المؤمنين.

هذا العدد، إذًا، لا يتحدث ابدًا عن الادخار أو المنح أو الأموال المستثمرة في البنوك. ولكنه يتعامل مع الاحتياجات الحالية، وليس الالتزامات المستقبلية.

الادعاء الثالث له علاقة وثيقة بالادعاء الثاني. حيث يعمل بعض الآباء المؤمنين على ترك ميراثًا كبيرًا لأبنائهم، ويعتقدون أن ذلك العمل هو المقصود به بأن يعتني الشخص بخاصته (١تيموثاوس ٥: ٨). ولا فرق لديهم إن كان أبناؤهم مؤمنين ام لا، فرغبتهم الملّحة هي أن يخلفوا لأبنائهم، ذخيرة محترمة.

أحيانًا تُستخدم الآية الواردة في رسالة كورنثوس الثانية ١٢: ١٤، في التعليم بأن الآباء يجب أن يوفِّروا الأموال لكي يتركوها لأبنائهم. تقول الآية «...لأنه لا ينبغي أن الأولاد يذخرون للوالدين، بل الوالدين للأولاد».

كما ذكرنا آنفًا، فإن السياق لهذا الجزء يعالج موضوع احتياجات بولس المالية. لم يستلم أي مال من الكورنثيين، بل استلم تقدمات من كنائس أخرى بينما كان قد يبشر في كورنثوس (٢كورنثوس ١١: ٧، ٨). والآن يخبرهم أنه مستعد للعودة إليهم ثانية، لكنه يؤكِّد لهم بأنه لن يكون عبئًا عليهم (٢كورنثوس ١٢: ١٤)، بمعنى أنه لن يطلب أي معونة مالية منهم، لم ينظر إلى ما كانوا يمتلكون، لكنه جعل كل همّه في تقدمهم الروحي فحسب.

عند هذه النقطة يضيف قائلا «... لأنه لا ينبغي أن الأولاد يذخرون للوالدين، بل الوالدين للأولاد». فالكورنثيون كانوا الأولاد، وكان بولس الأب (١كورنثوس ٤: ١٥). كان يقول لهم – بسخرية واضحة – إن لم يهتموا به، فسوف يهتم هو بهم ويعمل على نموهم الروحي. قال لهم ذلك ساخرًا لأنهم كان يجب عليهم أن يهتموا بدعمه (١كورنثوس ٩: ١١، ١٤)، لكنه اختار أن يتخلى عن حقه هذا الذي كان له عندهم.

والنقطة الهامة التي يجدر الانتباه إليها، هي أن هذا المقطع لا يتكلم ابدًا عن تخزين الاحتياطيات للمستقبل. فلم يكن ذلك هو موضوع الكلام على الإطلاق، ولكنها كانت مسألة احتياجات راهنة. فكأنّ بولس يقول "على العموم، فالأولاد لا يدّخرون في العادة لآبائهم، بل الآباء هم من يدخرون لأولادهم".

الشيء الأكيد هو أن مسألة بناء ميراث للأبناء لا تجد لها أي سند في العهد الجديد. لذلك فأفضل ميراث يمكن للآباء أن يخلفوه لأبنائهم هو الميراث الروحي. أما انشغالهم باكتناز الأموال، يمكن أن يعيق تقدمهم واهتمامهم للميراث الروحي.

فكِّر في كل الشرور التي نشأت من وراء التركات المالية التي خلفها المؤمنون وراءهم.

العديد من حديثي السن تحطّموا روحيًا، بسبب حصولهم فجأة على ثروة طائلة، فسكروا في غمار الأمور المادية والملذات، وتركوا خدمة المسيح!

ثم فكِّر أيضا في الصراعات التي نشبت بين العائلات المسالمة، نتيجة الفروق الاقتصادية والاجتماعية التي بين الأشخاص؛ فالأخت تغار من اختها، وكذا الأخ من أخيه. ومشاحنات مريرة تستمر طيلة الحياة.

ورد في لوقا ١٢: ١٣-١٤، عن نزاع عائلي على الميراث. وقد رفض الرب يسوع التدخل فيه. فهو لم يأتِ إلى الأرض لمثل هذا العمل. لكنه لم يتوانَ في إصدار تحذيرٍ شديدٍ ضد الطمع، لهذا الرجل البائس الذي لم يُذكر اسمه في الوصية.

الآن نجد أنفسنا أمام هذا الوضع التالي: الآباء الذين عملوا باجتهاد كل حياتهم ليتركوا شيئًا لأولادهم، بمرور الأيام يصبحون مسنين ومقعدين وغير قادرين على الاستمرار في رعاية أولادهم، فنجد الأولاد الغير الشكورين ينتظرون بفارغ الصبر موت والديهم ليضعوا أيديهم على المال!

وعندما يكون هذا المال في يد الابن غير المؤمن، او الابن أو الابنة المتزوجين بغير مؤمن، قد يصل هذا المال لكنيسة غير صحيحة، فيكون وسيلة في تقييد نشر البشارة بدل من انتشارها. فكر في هذا! أموال المؤمنين تستخدم في محاربة الحق!

كما علينا أن نفكّر أيضا في المبالغ الطائلة التي تُدفع للحكومة كضريبة على الإرث، والتي تُدفع للمحامين كرسوم ومصاريف قانونية. كل هذا المال كان يمكن أن يُستخدم في خلاص النفوس.

يحاول بعض المؤمنين أن يتجنبوا بعض من هذه المآسي بأن يتركوا أموالهم لمنظمات مسيحية. ولكن لا يوجد ما يضمن أن تؤول هذه الأموال لتلك المنظمات. فالوصايا يواجهها التحدي دائما، بل تُفسخ. بالإضافة إلى هذا، فلا نجد أي دعم كتابي يبرِّر ممارسة جمع المال وترك الإرث. ولا ضمان بأن هذه المنظمات ستبقى أمينة للرب والحق كل الوقت، إلى ان يتم تنفيذ الوصية.

والجدير بالذكر أن المؤمنين لن يُكافئوا على ما تركوه في الوصية؛ وذلك لأن كل ما يتركونه لا يكون لهم لحظة وفاتهم، بل يكون للورثة.

مكتوب «الإنسان... يَذخَرُ ذخائرَ، ولا يدري من يضُمها» (مزمور ٣٩: ٦). لهذا فالطريقة الوحيدة التي فيها تتأكد من أن نقودك تُستخدم للرب، هي أن تعطيها وأنت على قيد الحياة، لتحصل على المكافأة في المستقبل.

نحن نقول إننا نؤمن بمجيء الرب القريب. إذن، يجب أن ندرك أننا كلما اقترب موعد مجيئه، كلما قلَّت قيمة ممتلكاتنا المادية. فعند مجيء الرب، ستزول أهمية ممتلكاتنا، وسينتهي الوقت للعمل بها في الخدمة. لذلك فالطريق الأفضل هو أن نضع ممتلكاتنا في خدمة الرب يسوع الآن.

بعد ذلك ياتي الجدل التالي: إذا وضع كل واحد الزيادة عن ضروريات الحياة في عمل الرب، فكيف سنعيش؟

الإجابة هي "بالإيمان أكثر، وبالعيان أقل". ولا جدوى من الادعاء بأن هذا المبدأ لا يصلح الآن لأنه نجح في أيام الكنيسة الأولى.

> «جميع الذين آمنوا كانوا معًا. وكان عندهم كل شيء مشتركًا. والأملاك والمقتنيات، كانوا يبيعونها، ويقسمونها بين الجميع، كما يكون لكل واحد احتياج». «لم يكن فيهم أحدٌ محتاجًا؛ لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت، كانوا يبيعونها، ويأتون بأثمان المبيعات، ويضعونها عند ارجل الرسل. فكان يوزَّع على كل واحد كما يكون له احتياج» (أعمال ٢: ٤٥،٤٤؛ ٤: ٣٤،٣٥).

وفي رسالة الرسول بولس إلى كورنثوس، علم أنَّ ممتلكاتنا المادية يجب أن تكون سائلة وليست مجمّدةً. بمعنى أننا عندما نلمس احتياجًا

حقيقيًا في عمل الرب، يجب أن تسرع أموالنا لسدّ هذا الاحتياج. وبنفس الطريقة، عندما نكون نحن في احتياج، نجد أن المال يُرَد لسد هذا الاحتياج. وبهذه الطريقة ستكون هناك مساواة بين شعب الرب.

«فإنه ليس لكي يكون للآخرين راحة ولكم ضيق، بل بحسب المساواة. لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم لإعوازهم، كي تصير فضالتهم لإعوازكم؛ حتى تحصل المساواة. كما هو مكتوب الذي جمع كثيرًا لم يفضل، والذي جمع قليلاً لم ينقص» (٢كورنثوس ٨: ١٣-١٥).

وبكلمات أخرى، إن كان أحد يعيش بالحقيقة حياة مكرَّسة للرب وكان أمينًا في وكالته على ممتلكاته، فسيكون هناك مؤمنون آخرون يكونون على أتمّ الاستعداد ليشاركوه بسرور في وقت احتياجه.

إن كنا أمناء مع أنفسنا، يجب أن نعترف أن فكرة الاعتماد على آخرين هي فكرة مُستهجنة عندنا، بل إننا فخورون باستقلاليتنا، أليس ذلك بمثابة الإعلان عن الذات، وليس دليلاً على حياة الرب فينا.

إن تعليمات بولس الواردة في تيموثاوس الأولى٥: ٣-١٣ بخصوص الاعتناء بالأرامل، تفترض وجود كنيسة تسود فيها محبة الرب التي تشمل قلوب المؤمنين هناك، حيث يتبادل القديسون الاهتمام بعضهم ببعض، حيث تنتقل الأموال بحرية لسداد الاحتياجات الحقيقية الموجودة. فإن كنا مقتنعين أن ما نجح في أيام الكنيسة الأولى لا ينجح اليوم، فالإجابة هي ببساطة: بأنه ناجح اليوم، لأنه يوجد قديسون يحيون حياة الإيمان، كما توجد قوة وجاذبية في حياتهم لا يمكن إنكارها.

يعترض أحدهم قائلا: ألم يقل بولس «أعرف أن اتّضع، وأعرف أيضًا أن أستفضل» (فيلبي ٤: ١٢)؟ من الواضح أن السائل هنا يصوِّر بولس في اتضاعه كمن هو جائل في الصحراء التي لم تدُسها قدم، وهو في جوع وعطش وضنك بملابسه الرثة، ونعله البالي. ثم يصوره في استفضاله وكأنه الشاب ذو البشرة البرونزية، الذي يترجل من سيارته الرياضية، ليذهب إلى شاطيء بحر هاديء، ليقضي أسبوعين من الرفاهية في سهول أمريكا. وبكلمات أخرى، يمكنه العيش بخشونة أو برفاهية ورخاء.

لكن هذا ليس بالضبط ما يقوله بولس في رسالته إلى مؤمني فيلبي. وعلينا أن نتذكر أنه كتب هذه الرسالة وهو في السجن، وليس في منتجع سياحي. فكتب وهو مسجون «وَلَكِنِّي قَدِ اسْتَوْفَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَاسْتَفْضَلْتُ. قَدِ امْتَلأْتُ إِذْ قَبِلْتُ مِنْ أَبَفْرُودِتُسَ الأَشْيَاءَ الَّتِي مِنْ عِنْدِكُمْ، نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، ذَبِيحَةً مَقْبُولَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ» (فيلبي ٤: ١٨).

قد نظن أن سجن بولس سيكون في جانب الاستصغار في حساباته، إلا أنه وصفه بأنه جانب الاستفضال! وعليه فإنه من غير الصحيح لنا أن نستخدم هذه الآية، الواردة في فيلبي ٤ : ١٢، لتبرير حياة الغنى والترف. هذا ليس ما يعلمه العدد.

حسنًا، ماذا عن الشاهد الكتابي الذي يقول أن الله منحنا كل شيء بغنى للتمتع؟ (١تيموثاوس ٦: ١٧). كثيرا ما يُقتبس هذا الشاهد لكي يُستخدم كدليل كتابي على أن المؤمن ينبغي أن يتمتع بأمور هذه الحياة. مما

يعني أنه من حقّه أن يُغرق نفسه بالأحدث والافضل، ويكون شعاره، "لا شيء جيد بما فيه الكفاية لشعب الله". أي أنه يحلّ له كل شيء للتمتع. ولكن كثيرًا ما ينسى ذلك الشخص السياق الذي جاء فيه هذا الكلام. لهذا يجب أن نلاحظ، مرة أخرى، كيف يبدأ هذا الشاهد «أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى...». بعبارة أخرى، إنها أبعد ما تكون عذرا للانغماس الذاتي، بل إن الآية وُجدت في السياق كتحذير مهيب لنا من الغنى!

حسنًا، فماذا يعني: أن الله منحنا كل شيء بغنى للتمتع؟ إنها تعني أن الله لم يمنحنا هذه الاشياء لتخزينها، لكنه يريدنا أن نتمتع بها من خلال مشاركتنا إياها مع الآخرين. وهذا واضح من العددين التاليين للآية المذكورة:

«وَأَنْ يَصْنَعُوا صَلاَحًا، وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ، كُرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ، مُدَّخِرِينَ لأَنْفُسِهِمْ أَسَاسًا حَسَنًا لِلْمُسْتَقْبَلِ، لِكَيْ يُمْسِكُوا بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ.» (١تيموثاوس٦:١٨-١٩).

التمتع بالغنى لا يكون باقتنائه، بل باستخدامه لمجد الرب ولصالح الآخرين.

عادة ما نتذكر ان إبراهيم كان رجلاً ثريًا (تكوين ١٣: ٢)، ومع ذلك فقد دُعيَ خليل الله (يعقوب ٢: ٢٣). وهذا بالطبع صحيح، ولكننا يجب أن نتذكر أن ابراهيم عاش في فترة العهد القديم، حيث كانت الوعود

بالبركات الأرضية لكل الذين يطيعون الرب، فالثروة كانت علامة على بركة الرب. فهل هذا صحيح في تدبير نعمة الله؟! إنه من الملائم أكثر أن نقول إن الضيق هو بركة هذا العصر.

في مثل لعازر والرجل الغني (لوقا ١٦: ١٩-٣١)، نرى أن معايير العهد القديم انعكست: الرجل الغني قد دين بسبب فشله في استخدام ثروته لمنفعة الآخرين لكنه أبقاها لنفسه.

ولكن ألسنا مدعوون للتعلم من النملة: «اِذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيمًا. الَّتِي لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ أَوْ عَرِيفٌ أَوْ مُتَسَلِّطٌ، وَتُعِدُّ فِي الصَّيْفِ طَعَامَهَا وَتَجْمَعُ فِي الْحَصَادِ أَكْلَهَا» (أمثال ٦: ٦-٨). ألا يرينا هذا أن النملة تجمع لمستقبلها، وأنه طُلب منّا تقليدها في هذا المجال؟ نعم، ولكن من الضروري أن نتذكر أن مستقبل النملة كان على هذه الأرض فقط، أما مستقبل المؤمن المسيحي هو في السماء. فالمؤمن هو سائح وغريب هنا، موطنه في الأعالي. وعليه أن يجمع كنوزًا لذلك المستقبل.

أما فيما يتعلق بحياته على الأرض، فمن غير المسموح له أن يقلق بشأن غده؛ ماذا سيأكل أو ماذا سيلبس (متى ٦: ٢٥). بل طلب منه بالحري أن يتأمل طيور السماء، التي لا تجمع إلى مخازن، بل أبونا السماوي يقوتها. فإن كان الله يهتم بالطيور، الا يعتني بنا!

جدّل أخير، وهو أنه لا بد لأحد أن يكون غنيًا ليوصِّل رسالة الإنجيل إلى الأغنياء. أوَ لم يدرك مؤمنو الكنيسة الأولى ذلك؟

التاريخ يخبرنا أن العديد من المسيحيين الأوائل كانوا تواقين لحمل إنجيل المسيح إلى كل مكان، وأنهم عملوا كخدام، أو حتى باعوا أنفسهم كعبيد ليدخلوا إلى بيوت الأغنياء والعظماء من الوثنيين، ويعيشوا هناك؛ حتى تتاح لهم الفرصة ليخبروا تلك البيوت عن محبة الرب يسوع وخلاصه. (ج. مبلر)

١٨

ماذا يقول الكتاب؟

أنهينا مناقشة الدعاوي الرئيسية التي تستخدم كمبررات للمسيحيين لكي يعيشوا في غنى في عالم يعم فيه الفقر المدقع! ويتضح لنا أمام هذا التناقض الساخر ضعف الدعاوي المقدمة أمام الأجزاء العديدة في الكتاب المقدس والتي تحذرنا من مخاطر الغنى:

«اَلرَّجُلُ الأَمِينُ كَثِيرُ الْبَرَكَاتِ، وَالْمُسْتَعْجِلُ إِلَى الْغِنَى لاَ يُبَرَّأُ...
ذُو الْعَيْنِ الشِّرِّيرَةِ يَعْجَلُ إِلَى الْغِنَى، وَلاَ يَعْلَمُ أَنَّ الْفَقْرَ يَأْتِيهِ »

(أمثال ٢٨: ٢٠،٢٢).

إن السعي الحثيث وراء الثروات المادية، لَهوَ هدفٌ لا يليق بأولئك الذين خلقهم الله على صورته ومثاله.

«لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ» (متى ٦: ٢٤).

فالله والمال يبرزان هنا كسيدين، تتعارض مصالحهما بشكل كبير، يستحيل معه خدمتهما معًا. فهو بمثابة الضربة المميتة أمام رغبتنا في أن نعيش لأجل عالمين: أن نكون أغنياء الآن ولاحقًا، أن نتمتع بالثروة على الأرض ونُكافأ عنها في السماء. ولقد أكّدَ الرب يسوع أنه لا يمكننا الحصول عليهما معًا، بل يجب أن نختار واحد فقط.

«فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ. فَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ بُهِتُوا جِدّاً قَائِلِينَ: إِذاً مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ: هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ» (متى ١٩: ٢٣-٢٦).

أتساءل إن كنا نأخذ كلمات الرب يسوع على محمل الجد! فالرب يسوع لم يَقُل أنه من الصعب على الغني أن يدخل ملكوت الله، بل قال أن ذلك مستحيل بشريًا. فسّر البعض ثقب الإبرة بأنه الباب الأصغر

في بوابة المدينة، فيجب على الجمل أن ينحني ليدخل من خلاله. ولكن الإبرة المشار اليها هنا هي إبرة الخياطة، والتي لا يمكن لأي جمل أن يمرّ من خلال ثقبها. بمعجزة إلهية فقط، يُمكن للغني دخول الملكوت. فلماذا نجتهد في الدفاع عن هذا الفكر بينما هو حاجز أمام غنانا الأبدي؟

«وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ لأَنَّكُمْ قَدْ نِلْتُمْ عَزَاءَكُمْ» (لوقا ٦: ٢٤).

هنا ينطق ابن الله القدوس بالويل للأغنياء. ولا يمكننا إلا أن نأخذ كلمة «الأغنياء» بمعناها الحرفي هنا. فلماذا نسعى أن نبارك أولئك الذين لم يباركهم الله؟

«بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً. اِعْمَلُوا لَكُمْ أَكْيَاساً لاَ تَفْنَى وَكَنْزاً لاَ يَنْفَدُ فِي السَّمَاوَاتِ، حَيْثُ لاَ يَقْرَبُ سَارِقٌ وَلاَ يُبْلِي سُوسٌ. لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضاً» (لوقا ١٢: ٣٣-٣٤).

لقد قيلت هذه الكلمات للتلاميذ (انظر ع٢٢). ونحن نحاول تجنبها بإدعائنا أنها لم تقصدنا نحن! ولِمَ لا تقصدنا؟! عندما نقاوم هذه الآيات، نحن – فقط – نعطل البركات.

إنه من الملائم لنا، ما دمنا نعيش في عهد النعمة، أن نبيع مقتنياتنا الثمينة: مجوهراتنا، الرسومات الاصلية، أثاثنا الثمين، فضتنا اللامعة. ونضع الحصيلة للعمل لخلاص النفوس في ارجاء المعمورة. أين هي قلوبنا؟ هل هي في خزينتنا البنكية أم في السماء؟ «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا» (متى٦: ٢١).

«فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذلِكَ قَالَ لَهُ: يُعْوِزُكَ أَيْضاً شَيْءٌ؛ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي. فَلَمَّا سَمِعَ ذلِكَ حَزِنَ لأَنَّهُ كَانَ غَنِيّاً جِدّاً» (لوقا ١٨: ٢٢-٢٣).

يقال لنا عادة أن الشاب الغني هو حالة خاصة، وأن وصية الرب بأن نبيع كل ما لنا لا تقصد الجميع. ولكننا إن أمعنا النظر سنجد أن هذه الوصية لا تختلف فعليًا عن الوصية المذكورة في لوقا ١٢: ٣٣-٣٤.

«وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ. لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا. وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغَرِّقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلاَكِ؛ لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ. وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ اللهِ، فَاهْرُبْ مِنْ هَذَا، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالصَّبْرَ وَالْوَدَاعَةَ» (اتيموثاوس ٦: ٦-١١).

حذّر الرسول بولس أولئك الذين يشتهون المال أنهم يطعنون أنفسهم بأوجاع كثيرة. فما هي الاوجاع التي أشار إليها الرسول؟

الأول: القلق الذي لا بد أنه يرافق الغنى، «وَفْرُ الغنى لا يريحه حتى لا ينام» (جامعة ٥: ١٢). فبدلاً من أن يجلب الغنى الأمان، كما هو

مفترض، إلا أن الواقع هو العكس: خوف دائم من السرقة، أو من التضخم، أو من هبوط حاد في البورصة.

والثاني: هو الأسى عند رؤية ابن احدهم مُفسَدًا روحيًا بسبب وفرة الأمور المادية. قلة من أبناء المؤمنين الأغنياء يسيرون في طريق الرب.

ثم المرارة التي نشعر بها عندما تخذلنا الثروة في وقت الحاجة الماسة لها.

كما أن الرجل الغني لا يمكنه معرفة كم من الأصدقاء لديه. قد يبدو هذا مناقضًا لقول الكتاب: «أيضا من قريبه يُبْغَض الفقير، ومحبو الغني كثيرون» (أمثال ١٤: ٢٠)؛ ولكن السؤال: هل هؤلاء أصدقاء حقيقيون، أم يدعون ذلك لأسبابهم الأنانية؟!

والثروة حتمًا لا تُشبع القلب، بل تولّد جوعًا مستمرًا للمزيد منها (جامعة ٢: ٨؛ ٤: ٨؛ ٥: ١٠).

وأخيرًا: فالغنى له انعكاس سلبي على الشخصية، مثل الغرور (أمثال ٢٨: ١١)، والقسوة (أمثال ١٨: ٢٣؛ يعقوب ٢: ٥-٧)، على سبيل المثال لا الحصر.

يذكّرنا متى هنري بأن:

> الكلمة العبرية المترجمة للغنى تعني أيضًا "ثقل"، فالثروة عبء: عبء في التعب الملازم لجنيها، وعبء في القلق المستمر للحفاظ عليها، وفيها عبء الوقوع في تجربة، وعبء الحزن والأسى عند حسابه في النهاية.

«أَوْصِ الأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ أَنْ لاَ يَسْتَكْبِرُوا، وَلاَ يُلْقُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةِ الْغِنَى، بَلْ عَلَى اللهِ الْحَيِّ الَّذِي يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنًى لِلتَّمَتُّعِ. وَأَنْ يَصْنَعُوا صَلاَحاً، وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ، كُرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ، مُدَّخِرِينَ لأَنْفُسِهِمْ أَسَاساً حَسَناً لِلْمُسْتَقْبَلِ، لِكَيْ يُمْسِكُوا بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ» (اتيموثاوس ٦: ١٧-١٩).

هذه الأعداد تقول « أَوْصِ الأَغْنِيَاءَ...»، ومع هذه فكم من خدام الرب ينفذون هذه المأمورية؟ كم منا تحدّى الأغنياء بهذه الوصايا؟ لعل معظمنا لم يسمع عظة عن الأعداد الكتابية الماضية. ومع هذا، فلم نكن في أي وقت من الأوقات الماضية أحوج لهذه الوصية من الآن.

حتى نعلّم هذه الوصايا، علينا أن نحياها أولاً. فإن كنا نحيا بالعيان لا بالإيمان، فلا نقدر أن نوصي الآخرين بأن لا يكنزوا لهم كنوزًا على الأرض، لأن حياتنا تسدّ أفواهنا.

يبحث الله عن رجال من نوع **الأنبياء**، يقدّمون كلمته **بدون خوف** من النتائج. رجال مثل عاموس الذي صرخ قائلا: «اِسْمَعِي هَذَا الْقَوْلَ يَا بَقَرَاتِ بَاشَانَ، الَّتِي فِي جَبَلِ السَّامِرَةِ، الظَّالِمَةَ الْمَسَاكِينَ، السَّاحِقَةَ الْبَائِسِينَ، الْقَائِلَةَ لِسَادَتِهَا: هَاتِ لِنَشْرَبَ. قَدْ أَقْسَمَ السَّيِّدُ الرَّبُّ بِقُدْسِهِ: هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي عَلَيْكُنَّ، يَأْخُذُونَكُنَّ بِخَزَائِمَ وَذُرِّيَّتَكُنَّ بِشُصُوصِ السَّمَكِ. وَمِنَ الشُّقُوقِ تَخْرُجْنَ كُلٌّ وَاحِدَةٍ عَلَى وَجْهِهَا وَتَنْدَفِعْنَ إِلَى الْحِصْنِ. يَقُولُ

الرَّبُّ» (عاموس ٤: ١-٣). ورجال مثل حجي الذي قال موبخًا: «هَلِ الْوَقْتُ لَكُمْ أَنْتُمْ أَنْ تَسْكُنُوا فِي بُيُوتِكُمُ الْمُغَشَّاةِ وَهَذَا الْبَيْتُ خَرَابٌ؟» (حجي ١: ٤).

بالطبع لم يكن للأنبياء شعبية، بل كان وجودهم يسبب حرجًا لمعاصريهم. وكانوا فقراء بلا مال، ومرفوضين اجتماعيًا. وكانوا يُضطهدون أحيانًا، وإن لم يسكتهم شيء كانوا يُقتلون. ومع ذلك فقد فضلوا كلمة الحق عن أن يعيشوا حياة كاذبة.

تقف المادية والثروة أمام تدفق القوة الروحية في كنيسة اليوم، فلن تحدث النهضة الروحية طالما عاش المؤمنون كالملوك. من ذا الذي سيقف مناديًا شعب الرب بالعودة إلى حياة الإيمان والتضحية؟ من ذا الذي سيُري العالم كيف يتمسكوا بالحياة الحقيقية (١تيموثاوس ٦: ١٩)؟ كتب تشارلس ماكنتوش: "الحياة الحقيقية الوحيدة التي نحياها، هي التي نحياها في ضوء الأبدية. أن نضع كل ما نملك لمجد الرب وعيوننا على الكنوز الأبدية. هذه هي الحياة الأفضل".

«وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَبِاتِّضَاعِهِ، لأَنَّهُ كَزَهْرِ الْعُشْبِ يَزُولُ. لأَنَّ الشَّمْسَ أَشْرَقَتْ بِالْحَرِّ، فَيَبِسَتِ الْعُشْبَ، فَسَقَطَ زَهْرُهُ وَفَنِيَ جَمَالُ مَنْظَرِهِ. هَكَذَا يَتْبُلُ الْغَنِيُّ أَيْضًا فِي طُرُقِهِ» (يعقوب ١: ١٠، ١١).

لم يقل للغني هنا أن يفتخر بغناه، بل بكل ما يأتي به للتواضع، لأن الغنى يزول مثل العشب. بينما الدروس الروحية التي نتعلمها لها قيمة أبدية.

«هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ، ابْكُوا مُوَلْوِلِينَ عَلَى شَقَاوَتِكُمُ الْقَادِمَةِ. غِنَاكُمْ قَدْ تَهَرَّأَ، وَثِيَابُكُمْ قَدْ أَكَلَهَا الْعُثُّ. ذَهَبُكُمْ وَفِضَّتُكُمْ قَدْ صَدِئَا،

وَصَدَأُهُمَا يَكُونُ شَهَادَةً عَلَيْكُمْ، وَيَأْكُلُ لُحُومَكُمْ كَنَارٍ! قَدْ كَنَزْتُمْ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ. هُوَذَا أُجْرَةُ الْفَعَلَةِ الَّذِينَ حَصَدُوا حُقُولَكُمُ الْمَبْخُوسَةُ مِنْكُمْ تَصْرُخُ، وَصِيَاحُ الْحَصَّادِينَ قَدْ دَخَلَ إِلَى أُذُنَيْ رَبِّ الْجُنُودِ. قَدْ تَرَفَّهْتُمْ عَلَى الأَرْضِ وَتَنَعَّمْتُمْ وَرَبَّيْتُمْ قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي يَوْمِ الذَّبْحِ. حَكَمْتُمْ عَلَى الْبَارِّ. قَتَلْتُمُوهُ. لاَ يُقَاوِمُكُمْ!» (يعقوب ٥: ١-٦).

يحذر روح الرب هنا من تخزين الثروات (ع٣)، ودفع أجور مبخوسة للعمال (ع٤)، وحياة الرفاهية (ع٥)، والحكم الظالم على الأبرياء (ع٦). لا حاجة لنا هنا لأي مناقشة فيما إذا كانت هذه الآيات تخاطب المسيحيين الحقيقيين أم لا. فما دامت تنطبق علينا، فعلينا إطاعتها.

«لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَائِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ. أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَابًا بِيضًا لِكَيْ تَلْبَسَ، فَلاَ يَظْهَرَ خِزْيُ عُرْيَتِكَ. وَكَحِّلْ عَيْنَيْكَ بِكُحْلٍ لِكَيْ تُبْصِرَ. إِنِّي كُلُّ مَنْ أُحِبُّهُ أُوَبِّخُهُ وَأُؤَدِّبُهُ. فَكُنْ غَيُورًا وَتُبْ» (رويا ٣: ١٧-١٩).

كانت هذه رسالة الرب الختامية للكنائس، رسالته القاطعة لكنيسة اللاودكيين. وهي لا تحتاج إلى تفسير؛ فنحن ندرك معناها، ونعلم أن لها تطبيقًا محدَّدا في حياتنا، وإنما تحتاج إلى الطاعة.

تحذير من الكسل

هناك دائمًا خطورة أن يُستخدم هذا الفصل كمبرِّر للكسل، فقد يقرأه أحد الكارهين لعمله فيقول: "هذا ما اومن به".

حسنًا ليس هذه الرسالة موجَّهة للكسالى، أو الذين يعتقدون أن على العالم (أو الكنيسة) أن تؤمِّن لهم معيشتهم. لكن عند الله رسالة أخرى لهؤلاء: "إنهض من فراشك وإذهب للعمل" (راجع ٢تسالونيكي ٣: ٦-١٢).

هذه الرسالة موجَّهه إلى الجادّين والمنتجين والعاملين باجتهاد. هؤلاء الذين يجتهدون لتسديد الاحتياجات اليومية لعائلاتهم، والذين إن أعطوا الأولوية للرب في حياتهم، واهتموا بما هو لله، يمكنهم الاعتماد على الله لتسديد احتياجهم في المستقبل.

تحذير من الحكم على الآخرين

شيء آخر علينا أن نتجنبه، هو الحكم على الآخرين بسبب ممتلكاتهم المادية. علينا أن لا نحكم على الآخرين ولا أن نشكِّك في إخلاصهم للرب. فإعلان مباديء كلمة الله بخصوص الغنى شيء، والدخول إلى بيوت المسيحيين الحقيقيين وأخذ انطباع عن ممتلكاتهم ورفع أصبع التوبيخ لهم، لَهوَ شيء آخر. جميعنا مسؤولون عن سماع ما يريد الله أن يقوله، وبعد ذلك علينا أن نطبِّق في حياتنا. فاحتياجات الأسرة الكبيرة هي بالطبع أكبر من احتياجات الفرد الواحد.

لا يمكننا أن نملي على الآخرين ما يمكن أن تعنيه كلمة الرب بالنسبة لهم حتى يطيعوها. كوكلاء سيقدّم كل منا حسابًا عن نفسه وليس عن الآخرين. ليت الرب يحررنا من انتقاد الآخرين والحكم عليهم.

الخلاصة

توضّح كلمة الله أنه علي المؤمنين الحقيقيين أن يكونوا مكتفين بما عندهم من مأكل وملبس ومسكن. وأن يكونوا مجتهدين في تسديد احتياجات عائلاتهم، ويقدموا ما يفيض لعمل الرب. ولا يسعوا في تأمين احتياجاتهم المستقبلية، بل يثقوا في الرب لتسديدها. فيكون هدفهم الأسمى هو خدمة السيد، وكل شيء آخر لا بد أن يأخذ مكانه بعد ذلك.

هذه هي الحياة التي يعلمنا إياها الانجيل، وقد مورست في سفر الأعمال، وأُعلنت في الرسائل. ومثالنا العظيم هو الرب يسوع نفسه. ولكن يبقى السؤال الأساسي هنا: "كيف أطبق ذلك عمليا في حياتي؟ ماذا عليَّ أن أفعل؟".

أول شيء: أن نقدم انفسنا لله (٢كورنثوس ٨: ٥). فعندما نكون له بالكلّية، من المؤكد أن ممتلكاتنا ستكون له أيضًا.

ومن ثم، عندما يضع الرب إصبعه على نواحٍ مختلفة في حياتنا، علينا بإطاعته فورًا. ربما يخلق فينا الرب شعورًا بعدم الارتياح تجاه تناول الطعام في مطاعم فخمة. أو صرف النقود على أدوات رياضية

باهظة الثمن. وعندما نضع عيوننا على أحدث موضات الأزياء، والسيارات الفخمة؛ قد يحوّل عيوننا عنها لنرى إمكانية امتلاك سيارة أقل ثمنًا ووضع الفارق في دعم انتشار رسالة الإنجيل. قد يقيم ثورة على خزانة ملابسنا، حتى يكسي الكثيرين بثوب البر. ربما يشير إلى مكان عمل أقل استغلالاً لوقتي. قد نفقد محبتنا للبيوت الفخمة وننتقل إلى بيوت أكثر تواضعا.

عندما يبدأ الله يكلّمنا عن هذه الأمور، سنعرف ذلك. ورفضنا لكلامه سيكون عصيانًا واضحًا.

والأمر الثالث هو: «مهما قال لكم فافعلوه» (يوحنا ٢: ٥). قد يسيء الأصدقاء فهمك وقد يوبّخك الأقرباء. سيكون هناك ردود فعل. فقط اتبع المسيح ودع الباقي له.

ضع كل ما يزيد عن احتياجاتك اليومية في عمل الرب. صَلِ من اجل الإرشاد. اسأله فيرشدك إلى حيث تضعها، وسيفعل!

ليت الرب يسمح فيرينا في أنفسنا وفي جيلنا العودة إلى هذا النوع من التكريس. كما صلى جون وسلي مرة: "ليت الرب يمنحني الشيء الذي طالما تقت إليه! أنني قبل أن انطلق ولا أعود أرى بعد، أن أرى أناسًا مخلصين لله بالكلية، مصلوبين للعالم، والعالم لهم. أناسًا مقدمين ذواتهم نفسًا وروحًا وجسدًا! عندها، يا لسعادتي عندما أقول «الآن تطلق عبدك يا رب بسلام».

١٩

اكسرني يا ربّ!

قبل سنين مضت، في اجتماع صلاة للمُرسَلين، سمعت شابًا مؤمنًا متحمسًا وهو يصلي: "يا رب، اكسرني!". وقد هزّني الطلب. فحتى تلك اللحظة من حياتي، لم أكن قد صليت تلك الصلاة. ولم أكن متأكدًا من استعدادي لأن أصلّيها حتى في نفس اللحظة. لكن تلك الكلمات، المليئة بالحرارة من قلب ذلك التلميذ الشاب، ايقظتني على الاحتياج الهائل للانكسار في حياتي. فقد تيقّظ فيّ الإدراك بأن الانكسار هو جوهر رائع في النطاق الروحي. والآن أصبحت تلك الكلمات صلاة

مستمرة لقلب توّاق: "**يارب، اكسرني!**"

الله يُقدّر الأشياء المنكسرة

"إن انكسار الروح التي لا تبدي مقاومة لعمل يد الآب، هو عنصر رئيسي في إكثار النفوس التي يعمل الله فيها. فهو لا يبحث عن القوة فينا، بل الضعف. ليس المقاومة، بل التسليم له. فكل القوة هي له: قوته في الضعف تكمل" (للكاتب مجهول).

بعد ثلاثين عامًا من كتابة أندرو مورّي لكتاب "أثبت في المسيح *Abide in Christ*"، قال: "أريدكم أن تعلموا أنه من الممكن أن يقاد الخادم، أو الكاتب، المسيحي بقول أشياء أكثر من التي اختبرها فعلا. فعندما كتبت "أثبت في المسيح"، لم أكن قد اختبرت كل ما قد كتبت. ولا أستطيع القول بأني قد اختبرته كله بشكل كامل الآن".

ألم يكن بولس في نفس الروح عندما كتب: «لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ» (فيلبي ٣: ١٢).

أنا أشارك نفس الشعور بالنسبة للفصل التالي "**يا رب، اكسرني!**"، فأنا مُثقّل من الرب أن أكتب هذه الأشياء. فالحقيقة رائعة ومُلحّة جدًا من أن تُحفظ بعيدًا بسبب أنني - ببساطة - فشلت في اختبارها بشكل كامل. فإني أجعل من الأشياء التي اكتبها إلهام قلبي، مهما امتد فشلي في تطبيقها.

٢٠

يريدنا الله جميعا أن نكون منكسرين

عادة، عندما ينكسّر شيء ما، تنقُص قيمتــه أو يــصبح بــلا قيمــة. وعاء مكسور، زجاجة أو مرآة مكسورة؛ هي – بشكل عام – بــلا نفــع. حتى لو كان هناك شَقٌ صغير في الأثاث أو تمزق فــي الملابــس، فــإن قيمتها تنقص بشكل كبير إذا عُرضت للبيع.

لكن الأمر ليس كذلك في النطاق الروحي. فالله يرفع قيمــة الأشــياء المنكسرة، خصوصًا الأشخاص المنكسرين. لذلك نقرأ آيات مثل: «قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ» (مزمــور ٣٤: ١٨).

«ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. اَلْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ» (مزمور ٥١: ١٧). الله يعرف كيف يقاوم المستكبرين، لكنه لا يقاوم المتواضعين والمنسحقين، «يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (يعقوب ٤: ٦). إن هناك شيئًا في انكسارنا يجذب رأفته وقوته. وجزء من هدف الله الرائع لحياتنا هو الانكسار؛ انكسار القلب، انكسار الروح، وحتى انكسارنا في الجسد (٢كورنثوس ٤: ٦-١٨).

الرجوع إلى الله هو نوع من الانكسار

إن عملية انكسارنا هي من مطلب مبدئي قبل رجوعنا إلى الله، عندما يبدأ الروح القدس عمله بتبكيتنا من نحو الخطية. فعليه أن يوصلنا إلى المرحلة التي نعترف بها (بإرادتنا) أننا هالكون، ومستحقون جهنم. نحن نقاوم في كل خطوة في الطريق، لكنه يستمر في المصارعة معنا حتى يتحطم كبرياؤنا، ويصمت لساننا المُتبجّح، وتنفد كل مقاومتنا. فنرتمي عند أقدام الصليب أخيرًا صارخين: "يا رب يسوع.. خلّصني!!". فقد أصبح لنا سيّد. لقد رُوِّض الفرس!

نعم رُوِّض الفَرَس. ففي الطبيعة الفَرَس مخلوق برّي، فكرة وضع اللجام عليه غير واردة. يرفس ويقفز ويتمرّد بلا قيود. ممكن أن يكون جميلاً ويعدو لمسافات كبيرة. ولكن إذا لم يُلجَّم، يبقى أشبّ، شريرًا بلا وجهة أو هدف. إذا لم يُروَّض، ولم ينكسر، يكون غير نافع للخدمة. لكن بعد ذلك تأتي عملية الإخضاع المؤلمة لإرادة الفرس بإلباسه اللجام. فعندما تخضع إرادة الفرس للإرادة الأسمى، يجد المعنى الحقيقي لوجوده.

بهذا التشبيه، من الجيّد لنا أن نتذكر أن الرب يسوع كان نجـارًا فـي الناصرة، لذلك من الممكن أنه قد صنع نيرًا. قال أحدهم مرة معلِّقًا، إنـه لو كان هناك لوحة على باب تلك دكان ذلك النجار، لكان مـن المحتمـل انه كتب عليها: "إن نيري على المقاس". لكن مـا يهمنـا الآن أن ربنـا القدوس لا يزال صانع نير. يقول الـرب: «احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ، وَتَعَلَّمُوا مِنِّي؛ لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ» (متى ١١: ٢٩-٣٠).

لكن النير هو فقط للمنكسرين وللخاضعين. فيجب علـى إرادتنـا أن تكون خاشعة ومستندة على الرب قبل أن يمكننا أن نتعلم منه. هو وديـع ومتواضع القلب. يجب علينا أن نكون مثله. فقـط بتلـك الإرادة نجـد الراحة لقلوبنا.

عناصر الانكسار

لكن ذلك يقودنا إلى السؤال الأساسي: ما هـو المقـصود بالانكـسار الحقيقي؟ كيف يظهر بوضوح في حيـاة المـؤمن؟ مـا هـي بعـض عناصره الأساسية؟

الندم، الإعتراف، التوبة

أعتقد أن أول ما يخطر لنا في هذا الصدد، هو الإسـتعداد للاعتـراف لله بخطيتنا، ولمن اخطأنا بحقهم. الشخص المنسحق سريع التوبة. وهـو لا يحاول أن يُخفي خطيتهـ أو أن يتناساها بقولـه: "إن الوقـت كفيـل

ليمحو كل شيء". بل على العكس، فهو يُسرع إلى محضر الله ويصرخ: «قد أخطأت». ثم يتوجه إلى من أساء له ويقول: "قد أخطأت. أنا آسف. أطلب إليك أن تسامحني". فمع أنه، من جهة، يشعر كم هو مخجل أن يكون على الواحد الاعتذار؛ فمن جهة أخرى، هو يعرف كم هو رائع أن يمتلك ضميرًا صافيًا وأن يسير في النور.

والاعتراف الحقيقي لا يتغاضى عن الخطية ولا يلغيها. فهو ليست كالمرأة التي قالت مرة بغطرسة: "إذا اقترفت أي ذنب، أنا مستعدّة أن أقبل السماح". فالاعتراف الحقيقي يقول: "قد أخطأت، وأنا هنا كي أعتذر".

كانت في حياة داود بعض غيوم الخطية والفشل، لكن الشيء الذي جعله عزيزًا على قلب الله كان ندمه العميق. ففي مزمور ٣٢ و٥١، نستطيع أن نتتبّع معه تجاوزه وخطيته وظلمه. فسنشاهده خلال الفترة التي رفض فيها الندم؛ كانت الحياة عندها جسدية، عقليّة، وتعسة روحيًا. لم تَسِر الأمور بشكل صحيح، وبدا كل شيء كعظام انفصلت عن المفاصل. لكن أخيرًا انكسر، اعترف، والله غفر. ثم رجعت الأجراس تدق من جديد. واستعاد داود ترنيمته.

في العهد الجديد، يشرح لنا بولس معنى الانكسار. فعندما وقف أمام المجمع ورئيس الكهنة في أورشليم، عندما قال إنه بكل ضمير صالح قد عاش للّه، عندما حنق رئيس الكهنة وأمر أن يُضرب السجين على فمه. فرد الرسول بولس: «سَيَضْرِبُكَ اللهُ أَيُّهَا الْحَائِطُ الْمُبَيَّضُ! أَفَأَنْتَ جَالِسٌ تَحْكُمُ عَلَيَّ حَسَبَ النَّامُوسِ وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُخَالِفًا لِلنَّامُوسِ؟» (أعمال

٢٣: ٣). فصُعق الجمع من جواب بولس الحاد المُبكّت. ألم يعلم أنه يتكلم مع رئيس الكهنة؟ بالحقيقة أن الرسول بولس لم يكن يعلم. وربما أن رئيس الكهنة حنانيا لم يكن يستحق المنصب الرسمي، أو أن يشغل الكرسي الذي جلس عليه. أو ربما كان ضُعف نظر بولس مجددًا. مهما كان السبب، لم يقصد بولس أن يتكلَّم شرًا على رئيس الكهنة. لذلك اعتذر عن كلامه، مقتبسًا خروج ٢٢: ٢٨ «لا تَسُبَّ اللهَ، وَلا تَلْعَنْ رَئِيسا فِي شَعْبِكَ». كان لدى بولس مستوى من الانكسار العميق. وقد أظهر نضوجه الروحي من خلال استعداده أن يقول: "قد أخطأت، أنا أعتذر".

التعويض

التعويض(أو رد المسلوب) مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالانكسار. بغض النظر عن التسمية. فإذا سرقت، أفسدت، أو أسأت إلى شيء ما، أو إذا عانى شخص آخر خسارة بسبب سلوكي الخاطئ، عندها لا يكفي الاعتذار. فالعدل يطالب بتعويض الخسارة. وهذا ينطبق على الأعمال التي ارتُكبت قبل الإيمان مثلما تنطبق على بعده.

فبعدما قبل زكا الرب يسوع، تذكر صفقاته الفاسدة التي استغل بها منصبه كجابي ضرائب (عشّار). لقد كانت نخسة روحية رائعة علّمته فورًا أن تلك الأعمال السيئة يجب أن تُصحَّح. لذلك قال للرب: «وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ» (لوقا ١٩: ٧-٩). وكلمة «إن» هنا لا تعبّر عن أي شك أو تردد. فالمقصود هو، "إنّي أرد أربعة أضعاف

لكل شخص احتلت عليه بأي شيء». إن تصميمه على دفع التعويض كان من ثمر تغييره. و«أربعة الأضعاف» كانت مقياسًا لقوة حياته الجديدة.

هناك حالات من المستحيل التعويض فيها. فمثلاً إذا أُتلفت قيودًا أو سجلات، أو إذا نُسيت قيمتها الفعلية بمرور الوقت، الله يعلم كل هذا. فكل ما يريده هو أن نسدّ كل ما نحن مدينون به عندما يكون بمقدورنا ذلك.

وهذا يجب أن يتم في اسم الرب يسوع. فلا يوجد مجد لله إذا قلت: "قد سرقت هذا. أنا آسف. والآن أريد أن أُعوِّض لك عن ذلك". فيجب على أفعالنا أن ترتبط بالشهادة للمسيح، مثل: "لقد أصبحت مؤمنا بالرب يسوع المسيح. وقد كلمني الرب عن بعض الأشياء التي سرقت منك قبل خمس سنوات. قد اتيت لكي أعتذر ولأعيدها لك". كل عمل تقي أو لُطف يقوم به المؤمن، يجب أن يرتبط بالشهادة للمخلِّص؛ حتى يعطي المجد للرب، وليس للشخص نفسه.

روح المغفرة

العنصر الثالث في الانكسار، هو الرغبة في المغفرة عندما يُساء لنا. وهذه تتطلب نعمة، بنفس القدر الذي يتطلّبه التعتذار أو التعويض. وبالحقيقة أن العهد الجديد يقدّم لنا تعليمات واضحة وصريحة جدًا بالنسبة لمغفرة الآخرين.

قبل كل شيء، عندما يُساء لنا يجب علينا وفورًا أن نغفر من القلب للشخص المذنب إلينا (أفس ٤: ٣٢). حتى قبل أن نذهب إليه لنقول إننا

غفرنا له. يجب علينا فعلاً أن نكون قد غفرنا له من القلب.

عندما يسيء إلي شخص ما، يجب علي أن أغفر له. عندها أطلق روحي. أما إذا حملت تلك الإساءة في قلبي، فإني أخطئ إلى الله، وأيضاً إلى ذلك الشخص، وأجازف بغفران الله لي. سواء إذا تاب وعوضني وطلب غفراني، أم لا، هذا غير مهم. قد غفرت له في تلك اللحظة. يجب عليه أن يقابل الله بالإساءة التي ارتكب، فذلك بينه وبين الله، ليس بينه وبيني. آخذاً بالحسبان أنه يجب عليّ أن أساعده (متى ١٨: ١٥). لكن سواء نجح ذلك أم لا، وقبل أن أبدأ به، يجب عليّ أن أغفر له. (بول ثورنبير)

هناك الكثير من الأخطاء التي يمكن أن تُغتفر وتُنسى في نفس اللحظة. انه لانتصار كبير إذا استطعنا أن نفعل ذلك. و«المحبة... تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (اكورنثوس ١٣: ٧). سُئلت مرة كلارا بارتون، وهي مؤسّسة الصليب الأحمر الأمريكي: "هل تذكرين ما هو الشيء الحقير الذي قالته تلك المرأة لك؟". وكان ردُّها: "ليس فقط لا أذكر؛ بل أذكر بشكل واضح أني نسيت".

إذا كانت الإساءة نابعة من الطبيعة القديمة، وشعرت أنه ليس من الحكمة أن تدعها تَمُرّ، فالخطوة التالية هي أن تذهب لذاك الشخص وتعاتبه (متى ١٨: ١٥). فإذا تاب، عليك أن تغفر له. «وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ قَائِلاً: أَنَا تَائِبٌ فَاغْفِرْ لَهُ» (لوقا ١٧: ٤). إنه من الحق أن يكون لدينا الاستعداد لنغفر بلا حدود. فبالحقيقة، قد غُفر، ولا يزال يُغفر، لنا بعدد مرات لا تُحصى.

لاحظ أنه يجب عليك ألا تذهب وتقول للجميع عن إساءة ذاك الشخص لك (وهذا غالبًا ما نفعله بلا استثناء). بل «اذْهَبْ وَعاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُما». الطريقة البديهية هي أن تُحجِّم تلك الإساءات قدر المستطاع.

وعندما يعترف أو يتوب الأخ المُسيء لك، عليك أن تقول إنك غفرت له. فأنت قد غفرت له في قلبك، لكن الآن تستطيع أن تُظهر غفرانك له.

لكن لنفرض أنه رفض التوبة. عندها، بالمقارنة مع متى ١٨:١٦ «وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَخُذْ مَعَكَ أَيْضًا وَاحِدًا أَوِ اثْنَيْنِ لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ».

إذا رفض أن يسمع للشاهدين أو ثلاثة الشهود، عندها يجب رفع الأمر للكنيسة. والهدف من هذا كله ليس الانتقام أو العقاب، بل من أجل إرجاع ذاك الأخ.

إذا فشلت هذه المحاولة الأخيرة، فليكن عندك كالوثني والعشّار. بكلمات أخرى، لا تعامله بعد كباقي الإخوة في الكنيسة المحليّة. بما أنه لم يعُد يتصرّف بعد كمؤمن، اعتبره غير مؤمن. لكن في اللحظة التي يأتي بها لك تائبًا، اغفر له. عندها تكون الأخوّة قد أُعيدت.

الله يكره عدم المغفرة، والتصميم على الحقد، وعدم الاستعداد لجعل الماضي ماضيًا. وهذا ظهر بوضوح بمثل العبد الذي لا يغفر (متى ١٨: ٢٣-٣٥). عندما كان مدينًا، سامحه الملك بمليون دولار. لكنه لم يُرِد أن يسامح أخاه العبد المدين له ببعض الدولارات. فالدرس واضح.

بما أن الله سامحنا وغفر لنا عندما كنا مدينين له حتى الرأس؛ يجب علينا أن نغفر نحن أيضًا للذين هم مدينون لنا بأشياء زهيدة.

تحمل الإساءة دون إنتقام

وهناك مظاهر أخرى للانكسار. منها تواضع الروح التي تعاني من أجل الحق والتي لا تنتقم. وهنا، بالطبع، المثل الأفضل هو ربنا «الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ؛ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ» (١بطرس ٢: ٢٣). فنحن جميعًا مدعوون إلى هذا النوع من الحياة.

«لأَنَّ هَذَا فَضْلٌ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوَ اللهِ يَحْتَمِلُ أَحْزَانًا مُتَأَلِّمًا بِالظُّلْمِ. لأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ؟ بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيْرَ فَتَصْبِرُونَ، فَهَذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللهِ» (١بطرس ٢: ١٩-٢٠).

في كتاب "من نعمة إلى مجد *From Grace to Glory*"، يُذكّرنا موردخ كامبل أنه كان لدى جون وسلي امرأة جعلت حياته مستحيلة. حيث كانت مستعدة أن تسحبه من شعر رأسه في أرجاء الغرفة. ورغم ذلك، لم يقل لها أي كلمة قاسية. ويضيف كامبل:

كان خادم تقي متزوجا بامرأة مشابهة. ذات مرة، وهو جالس يقرأ في كتابه المقدس، فتح الباب ودخلت زوجته. فأخذت كتابه المقدس منه ورمته في النار. عندها نظر إليها بهدوء وقال: "لم أجلس من قبل أمام نار استدفيء". وكان هذا الجواب، الذي صرف سخطها، بداية حياة جديدة وكريمة لها. عندها تحولت من "ايزابل" إلى "ليديا". الشوكة أصبحت زهرة الوادي.

قال احد القديسين:

إنها لعلامة على عمق وصدق التواضع، عندما نرى أنفسنا نتحمل الإدانة بلا سبب. فإن تحملنا للإهانة والإساءة لتمثل رائع في ربنا يسوع. "آه يا ربي، عندما أتذكركم من المرات التي قاسيت فيها من أجلي، وأنت لا تستحق ذلك، أنا لا أعلم أين يكون عقلي عندما أكون في عجلة لأن أدافع عن نفسي وأقدم الأعذار. هل يمكن أن أرغب في أن يتكلم الناس عني حسن، في الوقت الذي قالوا فيك سوءا؟"

اغلب الشر بالخير

ميّزة اضافية في حياة الانكسار، ليس فقط تحمّل الإساءة بصبر، بل مقابلة الإساءة بالإحسان.

«لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ... فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ. لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.» (رومية ١٢: ١٧، ٢٠، ٢١).

هنا أتذكر دائمًا، الفيل الذي كان مالكه يقوده في إحد شوارع الهند. فقد كان يحمل عصًا حادة من المعدن لينخس بها الفيل من أجل التحكم به. ثم انزلقت تلك العصى من يد المالك وسقطت على الأرض محدثة صوتًا حادًا، عندها التفت الفيل للخلف، وأمسكها بخرطومه، وناولها لسيده. إذا استطاعت الفيلة أن تكون من المؤمنين، فبالتأكيد كان ذاك الفيل واحدًا منها!

تقديم الآخرين في الكرامة على الذات

هذا هو نوع من الانكسار، الذي يحسب الآخرين افضل من الذات (فيلبي ٢: ٣). ونرى تصويرًا لذلك في حادثة من حياة إبراهيم (تكوين ١٣: ١-١٣). حيث صعد مع لوط من مصر، مع عائلاتهم وممتلكاتهم إلى بيت إيل. فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط، اذ لم تحتملهما الأرض أن يسكنوا معا. عندها تدخل أبرام وقال: "انظر يا لوط، لن نصبح أعداء بسبب قطعة من الأرض. خذ الأرض التي تحلو لك، وأنا سآخذ أرضًا أخرى". فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن، التي كانت قريبة من سدوم. فذهب صاحب القلب الكبير أبرام إلى أرض كنعان. وهكذا عاش أحد قديسي العهد القديم مقدّما لنا تطبيقًا عمليًا لما قصده بولس عندما قال: «وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ» (رومية ١٢: ١٠).

الطاعة

ليس هذا فحسب؛ فالله يريدنا أن نكون منكسرين في قبولنا وطاعتنا لمشيئته. فكاتب المزمور يقول بشكل موجز: «لاَ تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلاَ فَهْمٍ. بِلِجَامٍ وَزِمَامِ زِينَتِهِ يُكَمُّ لِئَلاَّ يَدْنُوَ إِلَيْكَ» (مزمور ٣٢: ٩).

يميل الحصان الطَّلِق إلى العدو لمسافات كبيرة، بينما يرمز البغل إلى العناد. إذًا يوجد لدينا خطران فيما يتعلق بطاعتنا لمشيئة الله. فمن الممكن أن نتحرك دون إرشاد، أو أن ننطلق دون أن يرسلنا الرب. ومن الممكن أيضًا أن نقاوم إرشاد الله الواضح لنا.

فمثلا، يونان. لم يكن هناك أي شك فيما يتعلق بدعوة الله له. فقد كانت

دعوته أن يذهب إلى نينوى لينادي بالتوبة. لكنه لم يكن منكسرًا بعد. لذلك ركب في سفينة متجهة في الاتجاه المعاكس. فقط بعد تجربته المرعبة في جوف الحوت انحنت إرادته للطاعة. عندها ذهب مسرعًا لكي يبرهن أن إرادة الله هي، بالرغم من كل شيء، صالحة ومرضية وكاملة (رومية ١٢: ٢).

نحن نجد انكسارا مدهشًا في الجحش الذي ركب عليه يسوع عندما دخل أورشليم (لوقا ١٩: ٢٩-٣٥). فحتى تلك اللحظة، لم يكن قد ركب أحد على ذلك الجحش، وكان من المتوقع أن يقاوم بشدة أيّة محاولة لركوبه. لكن عندما اقترب المخلِّص منه، اختبر معجزة من الانكسار اللحظي. فأصبحت إرادة الجحش متجاوبة بشكل كامل مع إرادة خالقها.

ممكن أن يكون ربط بسيط أن أذكر الطين في حديثنا عن الانكسار، لكن الطين بيد الفخاري هو وصف رائع للشخص المنكسر بين يدي الرب؛ ليّن ومتجاوب لضغط أصابع الله.

والصلاة اليومية للشخص المتجاوب منعكسة في كلمات الترنيمة التالية:

لتكن طريقتك، يا رب.. لتكن طريقتك
انت هو الفخاري وانا الخزف
شكّلني واصنعني بحسب مشيئتك
وانا سأنتظرك، متمسكًا وثابتًا

لتكن طريقتك، يا رب... لتكن طريقتك
افحصني وجربني يا سيّد اليوم
أبيض من الثلج يا رب اغسلني الآن
في محضرك أنا أنحني بخشوع

لتكن طريقتك، يا رب... لتكن طريقتك
فأنا مجروح ومتعب، ساعدني، هذه صلاتي
القوة – كل القوة – بالتأكيد هي لك
المسني واشفني، مخلصي الإله

لتكن طريقتك، يا رب... لتكن طريقتك
فستبقى أنت سيّدي المُطلق
املأني بروحك حتى يرى الجميع
المسيح وحده، دائمًا، حي فيَّ

الموت عن آراء الناس

هناك الكثير من المظاهر الأخرى للانكسار. فمثلاً، يجب علينا أن نصل إلى تلك المرحلة التي نكون عندها أمواتًا عن استحسان العالم أو عدمه. بعد قبول و. ب. نكلسون للرب يسوع كمخلص، كان تحت رعاية أحد الخدّام، الذي قال له مرة: "اذا كنت ملتزمًا نحو خدمة الله، احمل هذه اللوحة لبضع ساعات في وسط المدينة. التي كتب عليها هذه الكلمات، "ميت عن آراء الناس"". وكان لهذه التجربة أثر كبير لجرأة نكلسون في خدمة المسيح.

الاعتراف بخطايا الآخرين كأنها خطايانا

يجب علينا أن نكون منكسرين لدرجة أن نعترف بخطايا شعب الله كأنها خطايانا. وهذا ما فعله دانيآل (دانيآل ٩: ٣-١٩). فلم يكن هو المذنب في معظم الخطايا التي اعترف بها. لكنه وضع نفسه مع كل الشعب

بشكل كبير، حتى أن خطاياهم أصبحت خطاياه. فهو يذكّرنا، بالطبع، بالذي حَمَلَ خَطايانا وَأَحْزانَنا كَأَنَّها لَهُ. والدرس لنا هو أن نعترف بخطايا الآخرين كأنها خطايانا ــ بدلاً من انتقاد المؤمنين وتوجيه أصابع الاتهام لهم.

المحافظة على هدوئنا في الأزمات

آخر مظهر للانكسار، يرتبط بالاتزان والهدوء في أزمات الحياة. فعندما يحدث تأخير لا يمكن تفاديه، ردّ الفعل الطبيعي هو الارتباك والغضب. التغيرات المفاجئة للروتين غالبًا ما تُحدث تضايقًا وانزعاجًا. تعطل السيارة والحوادث، كم من السهل أن تضايقنا وحتى تسبب حدّة في المزاج. التغير في جدول المواعيد، وخيبات الأمل، لهم طريقة في إظهار الأسوإ فينا. فالهيجان والغضب والسخط أشياء تفسد شهادة المؤمن.

أما طريق الانكسار فهي المحافظة على الهدوء خلال هذه الأزمات، ومعرفة أن الله يتحكم بكل ظروف الحياة لأجل أهدافه. فيمكن أن يكون إطار السيارة المثقوب بركة غير ظاهرة، وهي حماية من حادث في آخر الطريق. ويمكن للزائر المفاجئ، الذي قطع خدمتك للرب، أن يمثّل خدمة أكثر أهمية مما كنت تفعله. الحادث، مع كل آلامه، عدم الراحة والخسارة التي يسببها، يمكن أن يقربك من أشخاص مستعدين، بتهيئة من الروح القدس، لاستقبال بشارة الإنجيل. ففي كل هذه الظروف، يرغب الرب أن يرانا نتصرف بهدوء بدلا من التسرع، بانكسار بدلا من التمرد.

هذه، إذًا، هي بعض الأمثلة من مفهوم الانكسار. وما سبق هو قائمة مقترحة بعناصر الانكسار، وبالتأكيد ليست هب قائمة الشاملة. فبينما نسير في تبعية الرب، سيُرينا نواحٍ من حياتنا الفردية التي نحتاج أن نكون منكسرين فيها عند الصليب. ومع كل إعلان مثل هذا سيعطينا النعمة التي نحتاجها.

«لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ» (فيلبي ٢: ١٣).

ما الذي لا يعنيه الانكسار

من الجدير بنا، بعد أن رأينا بعضًا من عناصر الانكسار، أن نشرح باختصار غير المقصود بالمُصطلح. فالانكسار لا يعني أن يصبح الشخص ناعمًا وذليلاً وضعيف الشخصية، أو أن يكون بلا قوة، غير مؤثر في مَن هم حوله. بل إن العكس هو الصحيح. الانكسار هو أحد أهم عناصر الشخصية القوية. فلا يحتاج المرء أن يتعلّم أن يكون غير مُنكسر، لكن أيَّ ضبط النفس نحتاجه لنكون مشابهين للمسيح في الوقت الذي تثور فيه ضدنا كل غرائزنا الطبيعية!

الأشخاص المنكسرون هم الذين يمتلكون أكثر الشخصيات إقناعًا. فهم يؤثّرون بهدوء؛ بسبب القوة الكبيرة التي فيهم. قد يبدو من التناقض بمكان القول المكتوب: «وَلُطْفُكَ يُعَظِّمُنِي» (مزمور ١٨: ٣٥)، لكنها الحقيقة. والمنكسرون قادرون أن يغضبوا عندما يستلزم الأمر ذلك.

نحن نرى هذا في حياة ربنا يسوع، عندما قلب موائد الصيارفة وطرد الذين كانوا يبيعون ويشترون من الهيكل. من المهم أن نلاحظ أن غضبه لم يكن بسبب اي إهانة له شخصيًا، بل بسبب إهانة بيت الله. مثلما قيل: "كان أسدًا فيما يتعلق بأمور الله، لكنه كان حملاً فيما تعلق بأموره". الكثير من الشهداء المسيحيين والإصلاحيين كانوا منكسرين، لكن من المستحيل القول إنهم كانوا ضعفاء وغير مؤثرين.

صراع الأجيال

أحد أصعب النواحي في تطبيق الانكسار، يظهر في العلاقة بين الأهل والأبناء. بسبب الطبيعة البشرية الساقطة، نظهر وكأننا غير مُحبّين لأقرب وأعز الأشخاص لنا. الكثير من الشابات المسيحيات يعانين من معارك داخلية كثيرة، بسبب العداء الذي يشعرن به تجاه أمّهاتهن! وأيضًا الكثير من المسيحيين، قليلاً ما يكونون مهذبين مع آبائهم في معظم الوقت!

لا أحد ينكر وجود صراع الأجيال؛ بالحقيقة إنه لَفجوة كبيرة؛ فالشباب يشكون دائمًا أن ذويهم لا يفهمونهم، وأنهم على غير صلة بالعالم المعاصر. لكن بالرغم من كل ذلك، يشعر الكثير منهم بالذنب والخجل لدرجة أنهم لا يستطيعون التغلب على مواقفهم هذه، والتصرّف كمؤمنين تجاه ذويهم، ولا تغيير مواقفهم تجاههك. إنهم يعرفون أنها هزيمة كبيرة أن يكونوا لطفاء وأن يتصرفوا باحترام مع رفقائهم وحتى مع الأشخاص البالغين، في مقابل

التصرّف بمنتهى البرودة والحِدّة في المنزل. إنهم يكرهون أنفسهم، لأنهم غالبًا ما يتمنون الموت لذويهم. لكن يبقى الانكسار والاعتراف، بالنسبة لهم، مثل قرص دواء صعب البلع.

لم تكن صدفة أنه عندما أعطى الله الوصايا العشر لشعب إسرائيل، خصّ واحدة منها لهذه الناحية الصعبة والحرجة من العلاقات البشرية: «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، لِتَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ» (خروج ٢٠: ١٢).

وأعاد بولس الوصية في العهد الجديد: «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ، لأَنَّ هَذَا حَقٌّ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ» (أفسس ٦: ١-٣).

أن أُكرم وأُطيع والديَّ، لا يعني أن أفعل ما يطلباه مني فقط، بل أن احترمهما، وأكون لطيفًا معهما، وأن أعتني بهما عندما يكون ذلك ضروريًا. ويعطينا بولس أربعة أسباب: لأن هذا حق. لأنه في مصلحة الأبناء أنفسهم. لأنه مكتوب. لأن فيه وعد طول الحياة على الأرض.

لكن الكثير من الأولاد والبنات أقنعوا أنفسهم أن ذلك ممكن للآخرين، وببساطة غير ممكن لهم؛ فوالديهم أصعب من أن يحتملوهما.

إن كل ما يلزم هو الانكسار. إن هذا يعني الذهاب إلى الأهل والقول: "أنا أسف لأني كنت عنيدًا في علاقتي معكم. لم أشكركم من قبل على كل ما تقومون به من أجلي. لكني أريد أن أفعل ذلك الآن. أطلب إليكم أن تسامحوني على طريقتي في بناء أسوار فاصلة بيننا. بمعونة الرب، ستكون الأمور مختلفة في المستقبل".

يمكن أن نختصر الوقت الكثير لشرح كيفية عمل جسر فوق الفجوة بين الأجيال بقصة الابن الضال. في البداية لم يستطع هذا المتسرع أن ينتظر موت أبيه؛ بل أراد أن ياخذ الميراث في تلك اللحظة. وبالفعل، أخذه وذهب للعيش به. ثم تبع رفقاء السهر، والشرب، والزنا. لكن سرعان ما نفد ماله وذهب الأصدقاء. فابتدأ المبذِّر يحتاج لقوته اليومي.

عندها أخذ يفكِّر في الخدم عند أبيه، الذين كانت معيشتهم أفضل منه في تلك اللحظة. كم كان غبيًا! قد ترك بيته غنيًا والآن يرجع فارغًا. ذهب وهو يطالب بالعدالة، لكنه يرجع طالبًا الرحمة. ذهب ورأسه مرفوعًا، لكنه يرجع زاحفًا مكسورًا.

"أبي.. قد أخطأت. أخطأت إلى الله وإليك. أنا لا أستحق أن أُدعى ابنك". قد فكَّر أن يقول أكثر، أن يرجو عملاً كخادم. لكن عندها كان الأب يُصدر الأوامر لعبيده. وبعد وقت ليس بكثير، كان الابن مرتديًا ثيابًا جديدة، وخاتمًا في إصبعه، وحذاءً جديدًا، وكان جالسًا أمام عجل مشوي مع كل الزينة. قد تم عمل جسر فوق الفجوة، بالانكسار. لم يكن بمقدور الابن أن يعرف قُبلة أبيه لولا انكساره أولاً بالتوبة والاعتراف.

لا يوجد شيء يساعد في تقويم موقف الشخص العدائي مثل الإذلال نتيجة اعتذار كهذا. ففي المرة القادمة عندما يُجرَّب بأن يُظهر أي عمل غير محبب لذويه، سيتذكر بسرعة خجل الانكسار، وهذا سيكون له الرادع الأقوى.

الفجوة الزوجية

ربما تكون ثاني أصعب ناحية في تطبيق الانكسار الحقيقي، تكمن في علاقة "الزوج والزوجة". ومرة أخرى، هي مسألة عدم إظهار الحب لأقرب الأشخاص لنا، بينما نُظهر الاحترام والأدب للذين بالكاد نعرفهم. في أغلب الأحيان، يجب علينا أن نعترف أننا اشرار في البيت وقديسون خارجه!

والكتاب المقدس واقعي في أن يحتسِّب مُقدَّما احتمال وجود توتر في العلاقة الزوجية. فتخطر على بالنا بالأخص الآية: «أَيُّهَا الرِّجَالُ، اجِبُّوا نِسَاءَكُمْ، وَلاَ تُكُونُوا قُسَاةً عَلَيْهِنَّ» (كولوسي ٣: ١٩).

القساوة أو البُغضاء التي تنشأ في زوج تجاه زوجته، غالبًا ما تكون عميقة لدرجة الإحباط من إمكانية التغلب عليها. وفي الأغلب ما يستسلم ببساطة، ويبحث عن التحرر من خلال الانفصال أو الطلاق. فلنأخذ حالة "جانو" و"جنكس" كمثال. عندما تقابلا أول مرة، عرفا أنهما خُلقا لبعضهما. وخلال الأشهر اللاحقة، كانا يخرجان سويًا في كل فرصة متاحة. وبعد مرور ستة أشهر كانا مخطوبين، وتم ترتحديد الزفاف بعد ستة أشهر أخرى، لكن مع سير الأمور تم الزفاف بعد أربعة أشهر من الخطوبة.

خلال السنة الأولى، كانت الأمور على ما يرام، وكل يلعب دوره بشكل جيد. وفي أحد الأيام حدثت مشاجرة بينهما، وأطلقت "جنكس"

كل غضبها المكتوم تجاه "جانو" بسبب ما حدث قبل زواجهما. فأجابها بالمِثل. فتزعزع أساس العلاقة بينهما. بعد ذلك بدا زواجهما ميؤوسًا منه. ووجد "جانو" أن البُغضاء التي شعر بها تجاه زوجته أكبر من الحب الذي أحبها به (٢صموئيل ١٣: ١٥).

اقترح الأصدقاء المؤمنون أن يقابلا مستشار زواج مؤمن، وهكذا فعلا. لكن في داخلهما كانا عنيدين وفاقدين للأمل.

أخيرا تقدم "جانو" بطلب للطلاق. لكن قبل أن تُرفع القضية في المحكمة، تحدّاه صديق مؤمن أن يجرب طريقة الانكسار. كما نصحت زوجة هذا الصديق "جنكس"، في نفس الوقت، أن تفعل نفس الشيء. لماذا لا ننكسر أمام الرب قبل أن ننكسر أمام بعضنا البعض؟ لماذا لا نضع الماضي تحت دم المسيح، ونبدأ بداية جديدة؟

ولقد فعلا ذلك. وقد كان أصعب شيء قام به كل منهما. لكنهما اجتمعا، وتعاتبا عتابًا كاملاً، وعبّر كلٌ منهما عن كل ما بداخله. فقد قبل كلٌ منهما تحمل مسؤولية دوره في تلك الخطيّة التي حدثت قبل الزواج. وبعد الاعتراف للرب بدموع، تعاهدا أن لا يدينا بعضهما على تلك الخطية فيما بعد. وطالبا بوعد الله أنه قد غُفر لهما (١يوحنا ١: ٩). وبكل فرح غفر كل منهما للآخر كل شيء. وقرّر كل منهما أن يسامح نفسه. وعندما فرغا من الصلاة، رُفع عنهما حمل كبير. وأدركا أنه ستكون هناك فترة من التعديل، لكن قد انقشعت غيوم البُغضاء عن حياتهما. وأدركا أيضًا اهمية الانكسار المستمر، كلما ظهرت مشاكل

مستقبلية في منزلهما.

بعد أشهر، علّق "جانو" أن سبب العناء الذي يعانيه الناس في زواجهم؛ إنهم مستعدون أن يصرفوا الوقت والمال على مستشاري الزواج والأطباء النفسيين، وأن يجربوا كل "علاج" مكلِّف؛ لكنهم غير مستعدين أن يجربوا الانكسار. فدون الانكسار، تكون كل الطرق الأخرى غير مُجدية بالمرة.

الرب يريدنا أن نكون منكسرين في جميع أمور حياتنا، وليس على الصعيد العائلي فحسب. سيصارع معنا كما تصارع مع يعقوب في "فنيئيل". سيحاول أن يكسر فينا الكبرياء، والأنانية، وروح عدم المغفرة، والعناد، والنميمة، والخيانة، ومحبة العالم، وعدم النقاء، وحدّة الأعصاب، وكل عمل للطبيعة القديمة. إنه يريد أن يغير اسم كل منّا من «يعقوب» إلى «إسرائيل»، من "المخادع" إلى الأمير، من شخص "ماكر ضعيف" إلى شخص "قوي مع الله والناس". سيصارع معنا حتى طلوع الفدر، ويخلع حُقّ فخذنا. عندها سنمضي بقية حياتنا بروح شخص منكسر يستطيع الله أن يستخدمه.

الله يريدنا أن نكون بلا لوم. فلا يوجد بيننا من هو بلا خطية، لكن نستطيع أن نكون بلا لوم. فالشخص غير الملوم هو الذي، عندما يرتكب خطأ ما، يُسرع إلى تصحيحه. فهو لا يدع الشمس تغرُب على غيظه. بالاعتراف والاعتذار، يُبقي قنوات الاتصال مفتوحة بينه وبين الله، وأيضًا مع إخوته المؤمنين.

فكر في النتائج

فكر في ماذا سيعني ذلك في حياتنا الشخصية، في بيوتنا، وفي كنائسنا المحلية، وفي العالم العملي؛ إذا كنا منكسرين كما يجب.

في حياتنا الشخصية، سيعني ذلك قوة أكبر، سعادة أكثر، وصحة أفضل. فالأشخاص الذين لهم أكثر تأثير روحي على الآخرين هم الذين تحت نير المسيح في الوداعة والتواضع. هم الذين يجدون الاكتفاء والراحة في خدمة السيّد. والذي يفيدنا روحيًا يفيدنا صحيًا أيضًا. كُتب مرة في "المجلة الطبية البريطانية" تقرير جاء فيه: "لا يوجد أي عضو في جسم الإنسان منفصل تمامًا عن الروح". تحدّث الدكتور "بول تورنر" عن مريضة كانت مصابة بسرطان الدم لأشهر. وبشكل غامض اختفى المرض، ورجع دمها طبيعيًا مرة أخرى. أظهرت التحريات أن تلك المريضة كانت تعاني من أزمة روحية، تحديدًا، قد غفرت حقدًا عانت منه لفترة طويلة. نعم، الانكسار جيد للصحة.

فكّر في **بيت** أفراده متسامحون مع بعضهم البعض. بالتأكيد هناك بعض الخلافات التي ستظهر من فترة لأخرى، لكنهم لا يسمحون لها أن تكبت داخلهم غضبًا أو حقدًا. لقد تعلمت تلك العائلة فن الحب والمُصالحة المقدسة. هذا هو النوع من البيوت الذي يحب يسوع ن يكون فيه.

في الإجتماع المحلي، الانكسار هو طريق الانتعاش. هو قانون

ثابت في النطاق الروحي أن دموع الانكسار هي باب لأمطار من البركات. فبشكل عام، نحن نجرّب كل شيء في البداية عدا الانكسار: مكانًا جديدًا، طرقًا جديدة. لكن الله ينتظر التوبة والتواضع. وعندما نتوب تنهمر البركات.

«فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي، الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ، وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمِ الرَّدِيئَةِ؛ فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَغْفِرُ خَطِيَّتَهُمْ، وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ» (٢أخبار ٧: ١٤).

فكِّر في التأثير الذي سيكون للمؤمنين في **العالم العملي** عن طريق تطبيق الانكسار. فرجال العالم ليسوا منكسرين، ويحبون أن يبذلوا قوتهم ونفوذهم ضد الأشخاص الذين مثلهم. لكنهم يدهشون عندما يتقابلون مع شخص لا تكون ردّة فعله الغضب، شخص يعترف بخطئه ويعتذر، شخص يعيش لمجد الرب يسوع. فهذا هو نوع الحياة غير الطبيعي الذي يُعلِن، وبقوة، عن الرب يسوع في عالم التجارة الصعب والمشوش اليوم.

نعم.. إنها تستحق أن تكون صلاة مستمرة لقلب توّاق: "**يارب.. اكسرني!**".